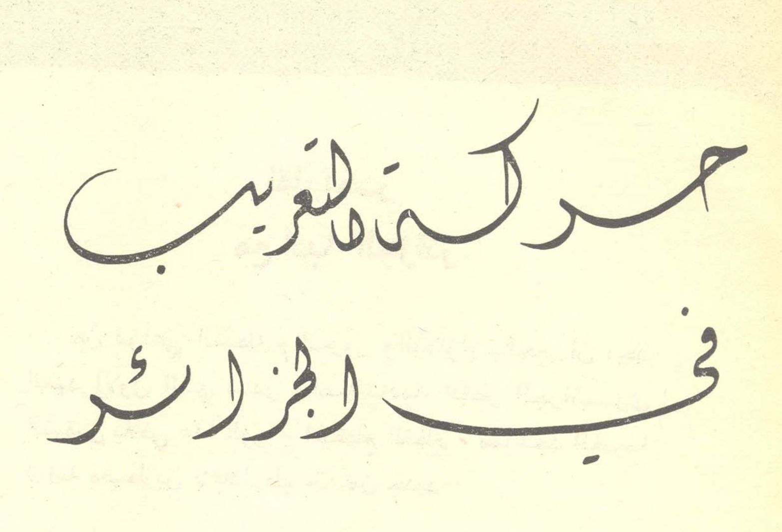


المحرر الثقافي

لعل الرباط الوحيد الذي لم ينفصم بعد في بلاد العرب هو رباط اللغة . واللغة الفصحى تحديدا فقد تعددت لهجات العرب وتشعبت عامياتهم وتباينت بعض ألفاظهم الشعبية المحلية الى درجة أصبح فيها من الصعب على فلاح عربي في أقصى المشرق من العراق مثلا أن يفهم لهجة فلاح عربي في أقصى المغرب ، في الجزائر أو موريتانيا ، لذلك فان اللغة العربية الفصحى والتأكيد على تأصيلها وترسيخها في أحاديثنا اليومية ، وفي كتاباتنا ، وفي مناهجنا ، يعتبر نضالا يوميا ، وواجبا قوميا على كل أبناء الضاد في مشرق الوطن العربي ومغربه ، حيث تشكل اللغة اوثق رباط بين الشعوب ، وأدق أداة فاعلة في حضارات الامم والاقوام ، لذلك أيضا سعى أعداء العرب الى فصم هذا الرباط القوي بين أبناء العروبة خلال مراحل متعاقبة من التاريخ ، وظهرت دعوات انفصالية ، تخفف من أهمية اللغة الفصحى في تجميع العرب وتوحيدهم كان اخرها دعوة لويس عوض في مصر ودعوة سعيد عقل ويوسف الخال في لبنان ان اللغة العربية ، بحيويتها ، وقدرتها على التوليد ومواكبة العصر ، كفيلة تماما بحمل واستيعاب كل مصطلحات العصر في التكنولوجيا والعلوم ، وهذا رد طبيعي صارم على اولئك الذين ينكرون على اللغة العربية ومصطلحاتها أن تستوعب حركة الترجمة النشطة حاليا في جميع المجالات العلمية والادبية .

العربية اساس الابجديات العالمية

لقد اثبت الباحثون ، وعلماء اللغة ، أن حروف الكتابة العربية سواء ما ظهر منها في جنوب الجزيرة العربية أو في شمالها أو في غربها في سيناء مصر هي أساس الحروف الهجائية في العالم كله ، منذ قبل ميلاد المسيح عليه السلام بسبعة عشر قرنا ، لذلك فانه من التجني بمكان ، على قوم هذا تاريخهم ، وتراثهم أن يتهاونوا في الحفاظ على لغة آبائهم وأجدادهم الذين ساهموا بشكل أو بآخر في ايصال تراث الحضارة الانسانية الفكري في العلوم والآداب ونقل نظريات وقوانين الطبيعة والمجتمع التي كانت الاساس الذي قامت عليه الابحاث العلمية والدراسات الاجتماعية في العصور المتتالية . لان ظهور الكتابة يحدد بداية العصور التاريخية ، والتاريخ بدأ مع بداية الكتابة ، وكما

ذكرنا آنفا فان الاكتشافات الاثرية والدراسات التاريخية تدل على أن الكتابة أول ما ظهرت في بلاد الرافدين ووادي النيل ووجدت بعد ذلك بحوالي ألفي عام في الصين • وكان قدماء المصريين والبابليين والصينيين يعتقدون بالاصل الالهي للكتابة وبتأثيرها السحري على الناس ومرت الكتابة بمراحل متعددة :

أولها : مرحلة الكتابة التصويرية ، حيث كانت تستخدم الصورة الحقيقية للاشياء للتعبير عنها •

ثانيها : مرحلة الكتابة الفكرية ، فالكلام يعبر عنه بصورة الورق الملفوف •

ثالثها : مرحلة الكتابة الصوتية : جعلت في هذه المرحلة بعض الصور للتعبير عن الاصوات ، كما ربطت هذه الصور بأسماء مكونة من مقطع واحد ، ثم استخدمت هذه الصور لتكوين كلمات مؤلفة من عدة مقاطع •

رابعها : مرحلة الكتابة ذات المقاطع • صارت الصور تجمع لتشكل كلمة أو فكرة •

خامسها : مرحلة الكتابة الابجدية : أصبحت الحروف في هذه المرحلة تمثل أصواتا لا مقاطع أو أفكار وصار الحرف الواحد يستعمل في عدد من اللغات• ومن أشهر أنواع الكتابات التي عرفتها الانسانية في المناطق المختلفة من العالم منذ أقدم العصور يمكن أن نذكر الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين والكتابة الهيروغليفية في وادي النيل ، والابجدية الفينيقية في بلاد الشام ، وحتى لانطيل الحديث أو نسهب بعيدا عن الغاية التي نرمي اليها من خلال هذا المدخل الى دراستنا حول حركة التعريب التي يدخل في صميم عمودها الفقري ، الدور البارز الذي لعبه العرب في تقدير أبجديات العالم المعاصر قلت : حتى لا نسهب بعيدا عن بحثنا نعود الى نشأة حركة التعريب والدوافع التي كانت خلف تلك الحملة الواسعة التي شنتها قيادة الثورة في الجزائر بعد تحقيق الاستقلال •

الثورة الثقافية

لقد حاول الاستعمار الفرنسي منذ عام ١٨٣٠ م أي منذ دخوله أرض الجزائر أن يمحو معالم اللغة العربية من على أرض الجزائر • ولم يأل جهدا في أن يفرض تعليم اللغة الفرنسية دون سواها في جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي ، لا بل حاول أن يطمس كل معالم العروبة والاسلام في الجزائر ، لخنق كل صوت ينبض بالعروبة ، وينادي بالاستقلال •

ولكن ارادة الشعوب دائما أقوى من ظلم وجبروت المستعمرين ، فالنضال الطويل الشاق الذي خاضه شعب الجزائر منذ عام ١٨٣٠ أسفر في النهاية عن نصر عظيم في عام ١٩٦٢ ولم يبق على ثورة الكفاح المسلح التي خاضتها حربا ضروسا ضد المستعمر من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٢ الا أن تتجه بعد نيل الاستقلال لترسيخ دعائم البناء والثورة على جميع الاصعدة فكانت الثورة الصناعية والثورة الزراعية والثورة الثقافية ، ونحن يهمنا في هذه الدراسة ما حققته الثورة الجزائرية في المجال الثقافي •

ثورة التعريب

هدفت الثورة الثقافية الى خلق الانسان الجزائري المثقف القادر على استيعاب قضايا وطنه وأمته والعالم الذي يعيش فيه ، بعد أن سلبه الاستعمار كافة المميزات الثقافية ، وبشكل خاص اللغة ، لانها العامل الاول في شعور الانسان بانتمائه للامة العربية ، وكان الاستعمار الفرنسي مستميتا لفرنسة الجزائر تعليما ولغة وطبائع ، وحاول من خلال الافكار والشعارات الكاذبة التي كان ينفثها فوق ربوع الجزائر أن يضفي على القطر الجزائري الشقيق صفة الفرنسة ، ويوهم البعض أن فرنسا هي التي وهبت الحياة للجزائر ، وأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وامتداد طبيعي لها على البحر الابيض، وأنه لابد من الانصهار الكامل والاندماج الشامل بين الشعبين العربي في الجزائر والفرنسي ، كما تندمج الاسرة الواحدة لذلك كان في مقدمة الخطوات التي قامت بها الثورة الجزائرية هي ثورة التعريب لان الانسان الجزائري لا يمكنه أن يشعر بانتمائه العربي ومعايشته قضايا امته العربية الا من خلال لغته الام ـ اللغة العربية ـ فكانت سياسة التعريب ردا حاسما على سياسة الفرنسة التي اتبعتها فرنسا اثناء استعمارها للجزائر ، حيث مارست كافة الضغوط ، وبكافة الاساليب ، لفرض لغتها الفرنسية في كل مكان من الجزائر ، وقتل الانتماء العربي عند المواطن الجزائري ولم تكن ثورة التعريب بالامر

السهل ، فقد كانت مهمة شاقة وطويلة ، لانها تتطلب تحرير الذهن والفكر والممارسة عند الانسان الذي فرضت عليه لغة غير لغته ، وثقافة غير ثقافته لمدة ـ ١٣٠ ـ مئة وثلاثين عاما ٠

ولكن اذا كانت فرنسا ترى في استعمار ارض وفكر وعقل الانسان الجزائري نجاحا لها ولمهمتها في السيطرة الكاملة على تراب الجزائر وثرواتها الطبيعية وبالتالي السيطرة الشاملة على شعبها ومحو مصالحه الحضارية وانتمائه لاصوله العربية بعد قطع الصلة بالجذور فان الثورة الجزائرية وعلى رأسها المناضل الصلب هواري بو مدين ، افشل مخططات المستعمر ، وقلب جميع المفاهيم السلفية التي كانت سائدة قبل انتصار الثورة واستطاع زرع بذور الثورة والتمرد على كل تركة الاجنبي داخل عقل ونفس كل مواطن جزائري ، واستطاع اعادة الجزائر الى انتمائها الحقيقي ، (العربي) وربطها بالتاريخ والمصير العربيين ، لا بل وحثها للسير بخطى حثيثة في دفع عجلة التقدم والتطور العربيين أكثر مما كان متوقعا ٠

وبحق استطاعت الثورة الثقافية القضاء على جميع امراض المجتمع من جهل وتخلف وامية وافتتحت الاف المدارس الابتدائية ومئات المدارس الثانوية وعشرات المعاهد والجامعات وطورت نظام التعليم ، والدراسات العليا ورسمت للجزائر سياسة تربوية ثقافية علمية تتناسب مع الاهداف العريضة للثورة الجزائرية ، وطورت اجهزة الاعلام وعربتها ، وفتحت الباب على مصراعيه لجميع الانشطة والفعاليات الثقافية والفنية التي تساهم في تعجيل حركة التعريب وانجاحها ٠ واصدرت العديد من المجلات والصحف الناطقة باللغة العربية من اهمها :

مجلة الثقافة

التي تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة بالجزائر ، رئيس تحريرها الشاعر الدكتور صالح خرفي صدر العدد الاول منها في محرم ١٣٩١ هـ اذار ١٩٧١ م ومما جاء في تقديم اسرة التحرير للعدد الاول (هذه المجلة ، خطوة فكرية ، ترمي وزارة الاعلام والثقافة في الجزائر من ورائها الى تعزيز الثقافة القومية وبعث الثقة باللغة الوطنية ، واثراء الفكر الجزائري باتاحة الفرصة له للانطلاق والتجاوب مع الفكر الخارجي اخذا وعطاء ، ان جذورنا هي التي حفظتنا وهي التي ستحفظ اصالتنا ، وان تمسكنا تمسكا واعيا بهذه الجذور ، لا يحول بيننا وبين التطور الحضاري الذي نعمل له، ونسعى اليه ٠ وهكذا نلتفت الى الماضي ونتوقف عند الحاضر ، من اجل العمل على صياغة المستقبل ، صياغة نؤمن أنها لا يمكن أن تكون نتيجة وثمرة الا في نطاق هذه المراحل (الماضي والحاضر والمستقبل) ، وحين نختار هذه المجلة أن تكون العربية لغتها ، فذلك ايمانا منا بأن هذه اللغة الوطنية هي اداة التفكير المنتج ووسيلته ، وهي ماضي الجزائر وحاضرها ومستقبلها وقدرها ، لانها هي التي صاغت شخصيتها ، وكونت تفكيرها ، وحفظت في الماضي وجودها من أن يتفتت أو يذوب واننا حتى لو حاولنا أن نغض الطرف عن ذلك كله ، فان الحقيقة المؤكدة التي انتهت اليها الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية على نطاق الشعوب والجماعات والاقاليم ، تذكر أن أي تقدم في بلاد العالم الثالث لا يمكن أن يكون عميقا وشاملا وقادرا على أن يلحق الشعوب بالركب الحضاري الا اذا كانت اللغة الوطنية هي اداته وسبيله ٠ ومن هنا فان اختيار اللغة العربية لغة لهذه المجلة ، هو عمل في صميم الاتجاهات الوطنية التي اخذت بها الجزائر ، والمبادىء التي اختارتها وسبب من اسباب التواصل بين الجزائر وبين البلاد العربية الشقيقة ٠ ولانها حريصة على استقلالها الثقافي جادة في دفع كل مظاهر الغزو الفكري والنفسي والثقافي على طول خط الكفاح الطويل الذي خاضه شعبنا المناضل ، كما أنها تفعل ذلك في نطاق حركتها الثورية التي تعمل لها الجزائر في اطار البناء العام من أجل ان تتكامل ثوراتها الثلاث الثورة السياسية والثورة الصناعية ، ثم تكون هذه الثورة الثقافية التي نؤكد عليها في نطاق مفهومنا للثورة الثقافية وتطابقها مع اهتمامات الوطن وموقعه واصالته واختياراته ، وادراكه لاهميتها في القارة الافريقية واثرها في مستقبل الحركة الاستقلالية كلها ٠

فرانز فانون والفكر الغربي

لقد كتب الكاتب الزنجي فرانز فانون كتابا كبيرا عن الثورة الجزائرية بعنوان معذبو الارض عام ١٩٦١ بعد أن انضم الى صفوف الثوار وعاش معهم في خنادق الميدان وبعد كتابه الاول الذي صدر عام ١٩٥٢ بعنوان (بشرة سوداء وأقنعةبيضاء) وقدم لهفرانسيس جانسون الذي يعتبر احد مريدي سارتر انذاك • وقد اثار كتابه عند ظهوره مناقشات عديدة ، والواقع أن كتابات فانون كلها من النوع الذي يثير النقاش ، والنقاش الحاد ، فهو من النوع الذي يتفاعل بشدة مع ما يكتب ، يتعلقبالمبدأ او القضية بعنف ، وبصفة كلية ويكره ويعادي بعنف وبصفة كلية لايعرف مواقف البين بين • ولا شك أن وجود اصول غربية في تفكير فانون ساعد على تقبل الفكر الغربي لافكاره وارائه فيما بعد على الرغم مما فيها من عنف وثورية •

اما كتابه الذي ظهر بعد وفاته تحت عنوان (من أجل الثورة الافريقية) فهو مجموعة مقالات كان قد نشر معظمها في صحيفة المجاهد •

البير كامو والصمت

ولم يكن موقف الروائي الشهير البير كامو في نفس الحدة التي وقفها فرانز فانون وانما اقتصر موقف (كامو) على موقف الصمت مما كان يجري في الجزائر ولم تستطع حكومات فرانسا المتعاقبة أن تسخر قلم (كامو) لصالحها فيالجزائر ، لذلك اعتبر النقاد موقف كامو الصامت هذا موقفا ايجابيا لصالح الثورة الجزائرية وكلنا يعرف أن بعض الاقلام الفرنسية دأبت على رفض التاريخ الجزائري لاتباعه بالتاريخ الفرنسي ، وبعضها الاخر وقف موقفا وسطا والبعض اكتفى بالصمت أو بالاشارة الى حق الانسان في أن يعيش حرا بعيدا عن القتل والتدمير •

طبعا ، ان صمت كامو ، لا يتناسب ابدا مع عمق شفقته على الانسان ولا مع حبه اللامحدود للارض التي ولد فيها فهو نفسه يقول : (ان لي مع الجزائر اسرار حب سوف لا تنتهي أبدا) ولكن من الطبيعي ايضا أن نعترف بأنه من الصعوبة المؤلمة أن يكون على الانسان الشريف أن يختار موقفا محددا بين العالمين اللذين ينتمي اليهما معا في نفس الوقت •

اننا نجد صعوبة مشابهة تواجه (محمد ديب ، كاتب ياسين ، ادريس الشرايبي ، البير ميمي) وغيرهم من كتاب افريقية الشمالية ذوي الولاء الثنائي الذي نتج من انتمائهم الى عالمين مختلفين عالم شبابهم وتقاليدهم ، والعالم الغربي الذي ساعدهم على اكتشاف قيمة انفسهم ان هؤلاء يجدون انفسهم أمام صعوبة كبيرة ايضا لكي يتخذون موقفا محددا ، ومع ذلك ورغم رفضهم أن يقطعوا علاقاتهم مع أحد العالمين ، فان كتاباتهم تشهد بأنهم يعطفون على اهل افريقية الشمالية البائسين •

والقارىء المتمرس على كتابات كامو ولا سيما كتاباته الصحفية التي جمعت ونشرت في ثلاثة مجلدات بعنوان – وقائع – يستطيع أن يلاحظ بلا عناء رأي كامو عن حرب الجزائر وعن موقفه العام تجاه اي اعتداء يرتكبهالانسان ولكي نفهم لماذا رفض كامو أن ينضم الى سارتر ومالرو وغيرهما من الذين استنكروا السلوكالفرنسي في الجزائر أو على الاقل لماذا رفض أن يعطي لهذا السلوك معنى خاصا يجب علينا أن نعود الى الماضي ونتتبع خطوات كامو من شواطيء الجزائر الشمسية الى ظلمات (اوربا التي غالبا ما كانت قذرة بالحروب والاعدام الجماعي • والحق أن كامو أوضح موقفه من الحضور الفرنسي في الجزائر منذ عام ١٩٣٩ حين كان محررا بجريدة الحزب الشيوعي الجزائري (الجي ريبيليكان) فمقالاته عن حالة سكان القبائل لم تترك مجالا للشك بخصوص احساسه نحو شقاء اهل البلاد وفشل فرنسا في اداء دورها فقد كتب كامو عندئذ ما يلي :

(انني مجبر على الاعتراف بأن اوضاع العمل في القبائل انما هي أوضاع الرق ، اننا نجد العشر فقط من الاطفال ذوي السن المدرسية يستطيعون أن يتمتعوا بفرص التعليم ، بل انني أشعر بأن المدارس القليلة الجميلة الواسعة في هذه الناحية كانت قد بنيت خاصة للسواح ولجان المراقبة ، ان التعليم يجب أن يمر بتعديل اساسي

فالقبائل سوف تجد مدارس اكثر حين يتنحى هذا الحاجز الاصطناعي الذي يفصل بين مدارس الاوربيين والاهلين اذا كان الاستعمار قادرا ذات يوم أن يبرر نفسه ، فان مبرره سيكون في مدى مساعدته الشعب المحتل أن يحتفظ بشخصيته ، واذا كان لنا واجب نؤديه في هذه البلاد فانه يتمثل في سماحنا لشعب من اكثر شعوب العالم فخرا وانسانية ان يبقى أمينا لنفسه ولقدره) هذه النصوص تبدو كافية لتوضيح موقف كامو نحو الجزائر قبل ثورة نوفمبر عام ١٩٥٤ بمدة طويلة ، فيجب اذن أن لا نستغرب حين نعرف أن كامو قد أصبح شخصا غير مرغوب فيه بعد نشر هذه النصوص ولذلك كان عليه أن ينتقل اولا من الجزائر العاصمة الى وهران ثم الى باريس .

الحركة الاصلاحية :

وعلى طرف مناهض للاستعمار وقفت الحركة الاصلاحية تبث نشاطاتها نزوعا الى امجاد الماضي وبعثا له على اعمدة الصحف والمنابر والمدارس الحرة وتعزيز جانب المواطن ببطولات ابائه واجداده وتحفيزه أن يكون جديرا بوراثة ذلك التراث من البطولات ، وقد تجلى ذلك الاتجاه عند (مبارك الميلي) في كتابه ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ سنة ١٩٢٨ وبعد ثلاث سنوات اصدر (توفيق المدني) كتاب الجزائر والرجلان كلاهما من أبرز اعضاء جمعية العلماء وروادها الاوائل ، ولكن من الصعوبة التعرف على الدوافع لهذا التأليف فبالرغم من الاضطهاد الفكري الذي كانت تمارسه فرنسا على الادباء والشعراء والكتاب في الجزائر فقد جاءت مقدمات معظم الكتب التي الفت تحمل مضامين الاصالة ورفض الاحتلال والتحريض على الثورة .

جاء في مقدمة كتاب (الميلي) قوله : معرفا التاريخ مستهدفا من خلال التعريف اثارة مكامن الشعور القومي والحس بالانتماء لتراث وتاريخ هذه الامة انه يقول : (التاريخ مرآة الماضي ، ومصدر الحاضر وشهادة حياة الامة وسجل اعمالها الشريفة ، وتذكار عبقريتها ، ورباط وحدتها ، وميزان تقدمها ..)

أما (المدني) فيذهب في النزوع الوطني مدى ابعد اذ يقدم لكتابه بهذه الكلمات المؤثرة التي رفعها شعارا للشباب الجزائري (الاسلام ديني ، والعربية لغتي ، والجزائر وطني) ويعالج المدني مشكلة الفراغ الذهني التاريخي عند الشباب الجزائري الذي يوزعه على قسمين : قسم ذو ثقافة فرنسية ممزق بين انجذاب الى تاريخ الدخيل ونفور من تاريخه وقسم ذو ثقافة عربية خانه المرجع الذي يربطه بماضيه وبأصالته ونزاهته هاهو يقول في معرض حديثه عن الجزائر مخاطبا الشباب :

(انكم ترون كما رأيت أن ابناء العربية في الجزائر ويجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء ، فكأنهم بذلك يعيشون في ديار غير ديارهم ، وأرض لم تنبت اباءهم واجدادهم أو كأنهم خلقوا على أرض مبتورة الاصل مجهولة النسب ، فاقدة كل مقومات الحياة ، فهم لايبحثون عن حوادث امسها ، ولا يهتمون لحالة يومها ، ولا يتساءلون عن مستقبل غدها (كتاب الجزائر) صفحة ٥ طبعة ثانية . وهذا الضياع المريع الذي مني به المواطن الجزائري لم يشغل بال المفكرين من ابناء الجزائر فحسب بل ربما جلب عطف واشفاق مفكرين ومؤرخين وراء الحدود الجزائرية امثال المؤرخ التونسي (عثمان الكاك) الذي اصدر عام ١٩٢٥ كتابه (بلاغة العرب في الجزائر) و ـ موجز التاريخ العام للجزائر ـ ويؤكد الكاك أن باعثه على ذلك ما لمسه في ابناء الجزائر من انفصال عن الماضي كاد يفقدهم كل احساس بالشخصية والذاتية . وقد دأب الكتاب والادباء الجزائريون بشعرهم ونثرهم ومن وقت مبكر من هذا القرن على بعث النخوة بالماضي والقاء الاضواء على امجاده ، والتحذير من عبث الدخيل به ، قال رمضان حمود في كتابه (بذور الحياة)

اذا جهلت امة تاريخها فقد جهلت مستقبلها ، واذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها والقتها في يد غيرها التاريخ محيي الامم ، وقد يكون قاتلها اذا شربته من كأس غيرها ، بل ان ـ رمضان ـ ليلتمس مظاهر النكران لتاريخ الجزائر ، والعقوق لامجاده ، ويروعه هذا الغزو الفكري المسموم الذي يطوح بشباب الجزائر في مهوى سحيق بعيد عن حظيرة تراثهم وحضارتهم .

ـ اذا صح أن الامم لا تتكون الا من طينة تاريخها الغابر ، وأن الامة التي لا تاريخ لها لا تنهض الا باندماجها في غيرها ، فان للجزائر العزيزة تاريخا ماجدا وماضيا خطيرا يذكر بكل اجلال وتعظيم ـ ٠

وكان للشعر موقفا رائدا من هذه المسألة ولاسيما الشعر الديني حيث لعبت المواسم الاسلامية دورها في احتضان النص الشعري والتحليق به في اجواء مشرقة من الماضي البعيد وهو هنا يلتقي بالتاريخ لا من زاوية دينية فحسب وانما من زاوية وطنية قومية ، ويعتز (ابن باديس) مفجر اعنف معركة فكرية في الجزائر بعد عبد القادر الجزائري ٠

جمعية العلماء :

وانطلاقا من هذا الحرص الكبير على تواصل الفروع بالاصول ، وربط الماضي بالحاضر فقد تضافرت الجهود وتشكلت جمعية العلماء سنة ١٩٣١ التي راحت تتلمس في الشعب الجزائري جراحه الثخينة ، وبدأت ترتسم في الافق البعيد ، ملامح الامل بالمستقبل ، فغدت امجاد الامس تجد صورا واصداء لها في تلك الحشود التي يجمعها ـ افتتاح مدرسة حرة ـ او ـ اجتماع سنوي تقييمي لحركة الاصلاح في نادي الترقية بالعاصمة او احتفال بختم تفسير القرآن في (كلية الشعب) بقسنطينة وعملت جمعية العلماء على اثبات عراقة الجزائر في مختلف المراحل التاريخية ، وارتباطها الوثيق بالامة العربية ٠ حتى غدت نبرة التحدي تزداد قوة للاحتلال ، وأخذت صبغة التهديد والمجابهة ، والتلويح للمستعمر بأن الحرية والاستقلال لا بديل عنهما وقد بلغ هذا التصاعد ذروته يوم اعاد التاريخ فعلا نفسه في ثورة نوفمبر المسلحة عام ١٩٥٤ فأصبحت الصور البطولية التي كان يستحضرها الادباء الشعراء من ذاكرة التاريخ العربي لا تستحضر للتساؤل والحسرة ولكن لتأكيد المواقف الماثلة وتأكيد نسبها العريق في اعماق التاريخ الى ابناء هذه الامة الواحدة التي ينتمي اليها شعب عربي واحد الشعور والدم واللسان وهكذا نستطيع أن نقول : ان التوعية التاريخية للحفاظ على اللغة والتاريخ الهوية القومية مرت بمراحل ثلاثة :

١ ـ التشاؤم الاسود الذي لا يحمل غير الحسرة والتفجع على الماضي في العشرينات ٠

٣ ـ الاعتزاز بالمآثر العربية واثارة الحمية والنخوة العربية في النفوس الابية في الثلاثينات والاربعينات ٠

٣ ـ تداعي الامجاد الغابرة والحاضرة في ثورة نوفمبر في الخمسينات ٠

ثورة اول نوفمبر ١٩٥٤

كتب ابن الحكيم يقول عن هذه الثورة (هي خير ثورة اخرجت للناس في العصر الحديث كذبت الاساطير ، وبدلت الدساتير ، وان يومها ليوم الفرقان بين الباطل والحق ، وبين الاستعباد والحرية تطاير شرر لظاها من جبال الجزائر ورباها فغمرت مدنها وقراها ، لم تكن هذه الثورة انقلابا من الانقلابات التي يقوم بها فريق دون فريق ، بل هي ثورة عارمة عامة اعطت الانسانية المعذبة على الارض ـ بقدر ما أعطت الانسانية الاخرى المتحكمة على الارض والمستعلية على الشعوب درسا من الدروس التي لا تنسى ٠ ولم تكن بنت يومها ، وانما هي امتداد لثورات سبقتها من عشرات السنين ، انها ثورة المليون شهيد واستمراريتها تعني انها ايضا ثورة المليونين من الاطفال الذين يجدون المدرسة وتتاح لهم فرص التعليم المتكافئة وثورة الملايين من العمال الذين يجدون العمل في المصنع وتتاح امامهم فرص الابداع التقني ، وثورة الملايين من الفلاحين الذين خرجوا من العبودية الى الكرامة ، وثورة الملايين من المثقفين ثقافة قومية اصيلة متفتحة ، تعرف ذاتها وتعرف العالم من حولها ليكون لها في قيادته نصيب ، انها ثورة الماء والكهرباء والمعرفة لكل جزائري) ٠

وليس غريبا أن تجد الثورة الاجتماعية والسياسية والثقافية والصناعية والزراعية التي قادها ابو مدين في كل يوم ميدانا جديدا تمضي ساعية اليه وتعمل جاهدة فيه تحاول أن تثبت فيه اصالة الروح العربية وان تنفذ اليه بحداثة الواقع وجدة المعاصرة وانظار المستقبل ، ذلك لان من الطبيعة الاساسية للثورة انها حركة دائبة وتغيير مستمر باتجاه الافضل ٠ فهي لا تعرف التوقف

او الجمود او السكون في المكان ، وهل غير هذا هو الذي يفسر لنا كيف تكون الحركات الاصيلة حركات استقلال اولا لا تكاد تفكر في غيره ولا تنظر الى سواه ولكنها لا تكاد تبلغ هذا الاستقلال ، حتى تتبين بعد ذلك أن الاستقلال يخفي تحت جناحيه كثيرا من الاهداف ٠

حركة التعريب في الجزائر تكاد تأخذ كامل ابعادها :

حركة التعريب في الجزائر تكاد تأخذ كامل ابعادها والجزائر اليوم تبدو للمتتبع اخبارها انها لا تخوض غمار الثورة الصناعية والزراعية والاجتماعية فحسب ، وانما هي تشق الطريق نحو هدف جديد هو الثورة الثقافية التي تنضوي تحت لواء حركة التعريب الشاملة في الجزائر اليوم ٠ وهذه الثورة ليست طارئة او جديدة انها كانت تحيا في النفس الجزائريةمنذ أنفت هذه النفس أن تخضع لجيوش الغزاة ولكل ما أرادت هذه الجيوش الغازية من امتلاك الارض وافناء الناس واستلاب الشخصية الجزائرية للقضاء على لغتها وتشريعهاتها ، غير أنه لم يكن من الممكن لحركة التعريب أن تأخذ كامل أبعادها في السنوات الاولى من الثورة امام الحاح المشاغل الاخرى الاكثر اهمية علما أن حركة التعريب وتعميمها على جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي والعالي ، وعلى جميع المؤسسات الثقافية والاعلامية الاخرى يجعل نوعا من التكامل الموضوعي بين الثورات الصناعية والاجتماعية والزراعية ٠ ويحقق قدرا من التوازن النسبي في مسيرة الثورة بشكل يحقق تنفيذ جميع الحاجات الملحة التي تتطلبها الاهداف البعيدة والقريبة للثورة ٠ ومن هنا فان الثورة الثقافية التي تأتي حركة التعريب في قمة انجازاتها لا تنفصل ابدا عن الثورات الصناعية والاجتماعية والزراعية الاخرى ، ولا شك أن المعنى الاصيل للثورة الثقافية يتقاطع فوق حدود الأصالة والحداثة والتراث ، أن هذا التراث الذي ارتسم في قلب وذاكرة كل مواطن جزائري طيلة مسيرة الحياة وتعاقب الأجيال ارتبط باللغة والدين والاخلاق والبطولات والتاريخ لذلك اصبح متعذرا على الاجيال الصاعدة فهم تراثها جيدا اذا لم تفهم لغتها ، لا بل اذا لم تحسن امتلاك ناصية اللغة العربية التي تشكل المفتاح الاساسي للمعرفة والعلم واكتساب الثقافة ٠ لذلك تأتي حركة التعريب في المقام الاول بالنسبة لتحقيق ذلك على الصعيد العملي ليس في مجال التربية والتعليم فحسب وانما في مجال الفنون والاداب الاخرى ، كالمسرح والسينما والادب والصحافة ٠

مطلع السبعينات وحركة التعريب

لقد شهدت السنة الدراسية لعام ١٩٧١ – ١٩٧٢ بمستوياتها المختلفة (الابتدائي والثانوي والعالي) تطورات تاريخية في سياسة التعليم وفي برامجه ومؤسساته وتصاعدا جريئا في احصائيات التلاميذ والطلبة الامر الذي يؤكد واقعية الثورة الثقافية التي تعيشها الجزائر ، ولعل الطابع المميز لهذه الثورة في هذه السنة هو الاتجاه الواضح ، الى استعادة الشخصية الوطنية ممثلة في لغتها ومقوماتها الاساسية وادماج التعليم في الواقع الجزائري وقد اكد على هذه السمات وزير التعليم الابتدائي والثانوي الذي يقول (ان الشوط الذي قطعناه يبدو جليا من خلال مجرد مقابلة بين عدد التلاميذ المنضوين هذه السنة في التعليم الابتدائي والثانوي (٢،٤٧٠،٠٠٠) وبين العام الدراسي ١٩٦٢ – ١٩٦٣ حيث لم يتجاوز العدد (٨٣٠،٠٠٠) ولقد تسبب هذا التضخم السريع في خلق مشاكل عديدة فضلا عن كونه لم يسد كل الحاجيات وعلى كل فقد تم بناء (٤،٠٠٠) من الاقسام الجديدة في المرحلة الابتدائية ، تمكننا من استيعاب كل الاطفال البالغين ست سنوات كما تم في مستوى المرحلة الثانوية بناء ثانويتين للتعليم التقني وثلاثة معاهد تكنولوجية للتربية ، وسبعة متلقن ، واثني عشر ثانوية للتعليم العام ، وثلاثين تكميلية ٠ وذلك سيمكننا من استقبال (٩٦،٠٠٠) من التلاميذ الجدد المقبولين في المرحلة الثانوية وهو ضعف العدد المقبول في السنة الماضية ١٩٧٠ – ١٩٧١ ٠

ان استقبال هذا العدد الضخم اصبح ممكنا بفضل الانجازات الانفة الذكر ، من جهة ومن جهة اخرى بفضل التدابير الجديدة المتعلقة بالتنظيم التربوي وتطبيق مبدأ الدوامين واستعمال الحجرات استعمالا استقصائيا رشيدا ٠

وفي ميدان التعريب عقدنا العزم على المضي قدما الى الامام بحكمة وتبصر حتى نحقق بالتدرج المعقول مايصبو اليه الشعب وهكذا سنقطع هذه السنة شوطا جديدا بتطبيق مبدأ التعريب المحلي في مراحل التعليم الثلاث وذلك بتعزيز جانب العربية في جميع المستويات وتعريب ثلث الاقسام في مستوى السنة الاولى ثانوي والخامسة ثانوي في نطاق كل التكميليات والثانويات مع ابقاء اللغة الفرنسية كلغة اجنبية ٠

ومع وجود عدد لا بأس به من المعلمين الاكفاء باللغة العربية في جميع المواد ، بما فيها المواد العلمية والرياضية اصبحت اللغة العربية اليوم اداة صالحة لتكوين الفرد الجزائري وتلقينه المعرفه ، كما اصبحت امكانيات مواصلة الدراسة الجامعية متوفرة باللغة العربية لضمان تخرج الاجيال الصاعدة في الميادين العلمية والوظيفية والمهنية ، وبما أن هناك اصلاحات جذرية قد ادخلت على التعليم العالي الذي يجتاز اليوم مرحلة حاسمة من مراحل تحويلية ، فان الطلبة في الجزائر يستطيعون مواصلة تعليمهم وذلك ما يضمن نجاح الاجراءات الجديدة التي اتخذت ٠ وليس على الشباب والشابات المنخرطين في الشعب المعربة ، وما على اوليائهم واقربائهم الا أن يتسلحوا بالشجاعة والاقدام ليكونوا عند حسن الظن ، وليحققوا الامال المعلقة عليهم لانهم يمثلون الطليعة ويحملون مشعل الانجازات المقبلة ٠

وفي حديث لوزير التعليم العالي تناول فيه مشروع التعريب يقول محمد الصديق (ان الجامعة تكون الاطارات والتعريف الذي تعطيه لهذه الاطارات ، يتضح من خلال محتوى التكوين تلقنه عبر البرامج ، لقد أخذت اعادة تنظيم البرامج بعين الاعتبار مكتسبات العلم الجديدة وهذا الاهتمام بالتعريب يتضح جيدا في شهادات العلوم الاجتماعية ذات الفحوى الايديولوجي الغزير ، او في الشهادات التي تنفتح على الوظائف العلمية ، فالشهادات المستحدثة تضع في الحسبان ضرورة التخصص المرتبطة بتنمية المعلومات في جميع ميادين العلم ٠) ٠

وهل نستطيع أن نتصور جزارة البرامج (اي جعلها جزائرية) بدون اعطاء مكان الصدارة للغة العربية في التكوين الجامعي ؟ واللغة العربية في الواقع هي وسيلة نقل ثقافتنا الوطنية ، والنسيج الوحدوي لشخصيتنا ، والتعريب ليس نتيجة اختيار ، انما هو معرفة ما اذا كنا نريد أن نكون نحن بأنفسنا ٠

ان التعريب في الجزائر يسير بمحاذاة مشاريع التنمية والبناء وتم خلال السنوات الماضية تطبيق اجراءات تعريب تمتد الى مجموع ميادين التعليم ، شملت كلية الاداب بكامل اقسامها ، وفي كلية الحقوق انشيء قسم معرب للتحضير لشهادة الكفاءة التي سوف يلغى منها التعليم باللغة الاجنبية تدريجيا ، كما شمل التعريب الدراسات العليا ٠ الى جانب ذلك اتخذت اجراءات اخرى لتمكين الطلبة المنخرطين في الدراسات التي ما زالت باللغة الاجنبية من تلقي خلال ثلاثمائة ساعة اثناء دراستهم الطبيعية تكوينا باللغة العربية يؤهلهم بعد دراستهم من السيطرة الكافية على ناحية اللغة الوطنية لاستكمالها في حياتهم المهنية كما افتتحت الدورات والتدريبات الاصلاحية في اللغة الوطنية لمختلف المستويات ، وحتى اليوم تعمل بدون انقطاع طيلة الليل والنهار لانهاء عملية التعريب بالكامل ، وقد تطوع العديد من الطلبة والمعلمين الذين يجيدون اللغة العربية بشكل ممتاز للقيام بتلك المهمات الوطنية والقومية في تلك المراكز والمؤسسات ٠ وما يجب أن نشير اليه في هذه الدراسة الموجزة عن حركة التعريب في الجزائر ٠ دور الاقطار العربية الشقيقة في ارسال معلميها واعارتهم للقطر الجزائري الشقيق كي يؤدوا واجبهم القومي في ترسيخ دعائم اللغة العربية ريثما يتشكل الكادر المختص من قلب الجزائر ذاتها ، فيعودون الى الاقطار التي ذهبوا منها ٠ ولا شك أن المهرجانات العربية ، والندوات ، والاماسي ، واللقاءات الفنية والثقافية على جميع الاصعدة لعبت وما زالت تلعب دورا بارزا في تعجيل حركة التعريب

وانجاحها ، واذا أردنا اليوم أن نخلص الى الجزائر ونلقي نظرة فاحصة سريعة على مراحل تطورها في جميع الميادين وجدنا أنها تقف في المقدمة بين أخواتها

من البلاد العربية الشقيقة تساهم في اغناء التراث العربي ، والتراث الانساني العالمي على حد سواء ، لها جامعاتها المتميزة ، التي يعمل فيها علماء وأدباء وفلاسفة

عرب جزائريون ٠ ونشهد فيها النهضة العمرانية الحديثة ، والثورة الصناعية الشاملة ، والمزارع والقرى النموذجية التي تستخدم فيها أحدث المكننة الزراعية ،

ومراكز الاشعاع الثقافي تغمر أرجاء القطر الشقيق ونجد أنه بعد أن تخرجت أول دفعة من حملة الاجازة

في الحقوق المعربة عام ١٩٧١ تلتها دفعات ودفعات على طريق اتمام التعريب في جامعة الجزائر وجامعة وهران وبقية الجامعات والمعاهد المنتشرة في الجزائر لنشر

التعليم التقني وتعريبه ، كما شمل التعريب المداولات القضائية والمرافعات ومحاضر الجلسات والقوانين في جميع قاعات المحاكم وصدرت القواميس العربية الفرنسية للمصطلحات القانونية لتساعد رجال القضاء

ذوي الثقافة الفرنسية على عملية التعريب ٠ وقد حذت وزارة الداخلية والاعلام ، وبقية الوزارات حذو وزارة في التعليم العالي والتعليم الابتدائي والثانوي ، ووزارة العدل حتى أصبح التعريب شاملا لكل المؤسسات

والمنشات العامة في الجزائر ، وأصبح الجميع يتخاطبون باللغة العربية أينما تواجدوا ٠ وقد صدرت عشرات المجلدات والكتب والدواوين والقصص والروايات باللغة العربية بعد أن كانت تصدر باللغة الفرنسية نذكر

منها على سبيل المثال لا الحصر ـ اللغة العربية ومشاكل الكتابة ـ تأليف البشير بن سلامة ٠ (الخط العربي) تأليف الدكتور محمد عزيزة (ديوان القصار) للشاعر الطاهر القصار (كلمات للغرباء) ديوان للشاعر محي الدين خريف ، المساجد في الجزائر ، والفن المعماري ،

والتعليم ، مطبوعات وزارة الاعلام والثقافة الجزائرية كما صرد عن الشركة الوطنية للنشرو التوزيع العديد من الكتب المسرحية والشعرية والروائية ٠ مثل مسرحية ـ التراب ـ لابي العيد دود ومسرحية ـ ماليتي ـ لاحمد سفطة ـ ويوغرطة ـ لعبد الرحمن ماضوي ـ والهارب ـ للطاهر وطار ومجموعة قصص بعنوان ـ دقت الساعة وقصص أخرى ـ للباهي فضلاء ـ الطعنات ـ للطاهر وطار ـ من وراء القضبان ـ لعبد الرحمن العقون ـ ـ رصيف الازهار ـ لمالك حداد ـ أغنيات نضالية ـ لمحمد الصالح باوية ـ الروابي الحمر ـ لصالح خباسة و ـ وداع مع الاصيل ـ لفتحية محمود البائع ٠ كما أصبحت دوريات وصحف الجزائر من الدوريات الادبية والفنية المتميزة ، والصحافة في الجزائر متقدمة ومتطورة جدا ، ولولا حركة التعريب وانتشارها في الجزائر لما كان كل الذي نشاهده في القطر الشقيق ٠

أخيرا : ان الثقافة لا تنمو من العدم ، ولا تتشكل في الفراغ ، واذا نمت وتشكلت فنموها يكون ضحلا وهزيلا ، والاعانات والمساعدات الخارجية مهما كانت مصداقة ومخلصة لا يمكن أن تؤدي الغرض الذي تؤديه الثقافة الاصلية النابعة من صدور أبناء هذه الامة العربية التي كان لها تاريخها الحضاري الغابر وكان لها عطاؤها الانساني الشامل في جميع الفنون والعلوم والاداب ٠

ان جذور التطور الفكري والادبي والفني نجده في

التراث وتربته الصالحة في المدرسة منذ مرحلة التعليم

الابتدائي وانتهاء بالتعليم العالي فهي التي تعطي المادة الفكرية الاولى للحياة الثقافية في البلاد والثورة الثقافية

التي جاءت حركة التعريب مشعلا وضاء في مقدمتها

حققت النهوض بالثقافة الجزائرية الاصلية ووفرت أسباب الازدهار لادابنا وفنوننا على جميع الاصعدة ٠

نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر

د. عبدالملك مرتاض

لقد اتيح للجزائر أن تعرف صحافة عربية اللسان، لاول مرة، في العقد الخامس من القرن التاسع عشر. ذلك بأن الفرنسيين حين احتلوا الجزائر وجدوا أنفسهم مضطرين الى انشاء صحافة تنطق باسمهم، وتعبر عن آرائهم، فتخدم بذلك اهدافهم الاستعمارية التي كانت تتمثل في السيطرة على حركة الاجسام، وتفكير العقول لدى الجزائريين حتى لا يجدوا منفذا للخلاص من هذا الاستعمار الضاري.

وبذلك تكون الجزائر ثاني بلد عربي يعرف الصحافة بعد مصر التي عرفتها سنة ثمانمائة وألف، حيث أنشأ «نابليون» في حملته على مصر جريدة «التنبيه» التي لم تعمر الا زمنا قصيرا. وثاني صحيفة عربية اللسان هي «الوقائع المصرية» التي أنشأها محمدعلي (١). فجريدة «المبشر» اذن، هي ثالث جريدةبرزت الى الوجود في الوطن العربي كله.

ولكن لغة الصحف الناطقة بالعربية في الجزائر، بحكم سيطرة الفرنسيين عليها أول الامر، لم تك سليمة ولا فصيحة، وانما كانت ذات الفاظ ركيكة أدنى الى العامية منها الى الفصحى. ولا أحسب أن الباحث يستطيع أن يظفر فيها بمقالة واحدة جيدة. ويعود ذلك حسب تقديرنا الى عوامل، لعل من أهمها:

١ ـ ان المستعمرين الفرنسيين لم يكونوا يجدون من يتعاون معهم من المثقفين الكبار، والكتاب المقتدرين. لان المستعمرين كانوا أعداء الداء للوطنيين الجزائريين الذين كانت ثورتهم تشتعل خلفه.

٢ ـ ان المستعمرين الفرنسيين لم يكونوا يبالون اسلوب هذه الصحف، ولا يكترثون بلغتها، لان قصدهم لم يك احياء العربية وتطويعها وخدمتها وتسخيرها للكتابة بقدر ما كان متمثلا في الافهام والتبليغ.

٣ ـ ان الفرنسيين كانوا حراصا على أن يفهمهم أكبر عدد ممكن من الاهالي في الجزائر. والجزائريون أنفسهم لم يكونوا في تلك الفترة أولي مستوى ثقافي عميق، لان الاحتلال كان قد أتى على الحرث والنسل، والاخضر واليابس، فهاجر معظم العلماء الى الخارج، واستشهد من لم يهاجر، من حيث ضيق الاستعمار على من لم يجد سبيلا الى الهجرة أو الاستشهاد.

فكان منتظرا ، والحال هذه ، أن تكون لغة الصحف الفرنسية التي كانت تتخذ من اللغة العربية لسانا لها تنطق به ، وأشهرهن اطلاقا « المبشر » ضعيفة ركيكة طورا وسوقية عامية طورا ثانيا ٠

بيد أنه مما يلاحظ أن الفرنسيين كانوا ينشؤون صحفهم باللغتين العربية والفرنسية ، وهم الذين سنوا هذه السنة الفاسدة في الجزائر ، فقلدهم بعض الوطنيين الجزائريين حين جاءوا يصدرون صحفا وطنية ، كالامير خالد الذي أنشأ جريدة « الاقدام » باللغتين ٠ ومن ذلك انشاؤهم صحيفة « المبشر » التي كانت تصدر باللغتين ٠

وقد صدرت هذه الجريدة الاستعمارية في الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة سبع وأربعين وثمانمائة والف وظلت تصدر طوال ثمانين عاما ٠ أي أنها لم تتوقف الا في سنة سبع وعشرين وتسعمائة والف (٢) ٠ وكانت هذه الجريدة تنشر الاوامر الادارية والتشريعات الفرنسية كما كانت تحاول بث الدعاية لصالح الفرنسيين في صفوف الاهالي الجزائريين (٣) ٠

ولم يك لهذه الجريدة من العروبة الا لغتها ٠ أما روحها فقد كان فرنسيا استعماريا محضا ٠

وما ذكرنا هذه النبذة الموجزة عن هذه الصحيفة الا لانها كانت تصدر باللغة العربية ، أولا ، ثم لانها كانت أول جريدة ناطقة بالعربية عرفها تاريخ الصحافة الجزائرية ثانيا ٠ فذكرها هنا ، كان من أجل هاتين العلتين الاثنتين والا فسبيلنا نحن ، غير هذا الضرب من الصحف الاستعمارية في هذا البحث الذي نقفه على الصحافة العربية الوطنية الجزائرية معا ، لصلتها بالشعب ولتعبيرها عن آماله والامه ، ولاشتمالها على شيء من الاداب ، وطرف من الاشعار ، والوان من القول الهادف ٠

ولقد ظلت الصحافة في الجزائر طوال القرن التاسع عشر ، وقفا على الفرنسيين وحدهم ، ليس الا ٠٠٠ ولكننا ألفينا نهضة صحافية وطنية نشيطة تقوم في مطلع القرن العشرين ٠ فمنها ما كان ناطقا بالعربية فقط ، ومنها ماكان ناطقا بالفرنسية فقط ، ومنها ما كان يجمع بين اللسانين جميعا ٠

هذا ، واننا لا نكاد نعرف من الصحف الرائدة الا نتفا قليلة من المعلومات التي لا تنير أمامنا سبيل البحث انارة كاشفة واضحة ٠ وأكبر الظن أن معظم هذه الصحف الوطنية في حد ذاتها قد ضاع من معظم المكتبات ٠

ومن الرواد الصحافيين الذين كان لهم شأن أي شأن في تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ، العربي فخار الذي أسس جريدة « المصباح » التي انطقها باللسانين معا ٠ وكانت غاية هذه الجريدة ، فيما يبدو ، محاولة التوفيق بين المجموعتين المتساكنتين في الجزائر يومئذ : الجزائريين والاوروبيين (٤) ٠

ومن أقوى الصحف الرائدة تأثيرا خلال الصدر الاول من هذا القرن ، جريدة « المغرب » الاسبوعية التي كانت تصدر باللغة العربية فقط ٠ ولعل تأثيرها في الرأي العام الجزائري ، وهو تأثير اومأ اليه الدكتور سعد الله (٥) يعود الى عامين اثنين :

– اولهما : طول عمرها الذي بلغ عقدا كاملا من السنين فقد ظلت تصدر من سنة ثلاث وتسعمائة والف ، الى ثلاث عشرة وتسعمائة والف ٠ وعمر الصحيفة اذا استطال في الجزائر عشر سنوات يعتبر ، في تلك الفترة التاريخية المضطربة ، فلتة من العناية السماوية ٠

– وثانيهما : أن اتجاه هذه الجريدة كان قوميا اسلاميا (٦) ٠

ونلاحظ أن هذه الجريدة من اولى جرائدنا التي اصطنعت اللغة العربية وحدها لسانا لها ٠ وفي هذا الصنيع مافيه من الدلالة على اتجاهها الوطني القومي الصريح (٧) ٠

وينضاف الى هاتين الصحيفتين الوطنيتين صحف أخرى صدرت في مطلع هذا القرن ، منها : « الاسلام » للصادق دنان ، « والجزائر » لعمر راسم (٨) ، وجريدتا « الفاروق » و « الحق » (٩) ٠

وهكذا عرف الصدر الاول من هذا القرن صحفا عربية اللسان ، وطنية الاتجاه ، ثائرة اللهجة ، تتطلع الى الحرية وتشرئب الى حياة أمثل ٠

٢ ـ المراحل التي مرت بها الصحافة الجزائرية في تطورها

لم تكد الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها ، حتى قامت نهضة صحافية في الجزائر مباركة ، فعرفت البلاد صدور صحيفتين عربيتين في سنة واحدة وهما :

« الاقدام » للامير خالد ، و « النجاح » لعبد الحفيظ بن الهاشمي ٠ ولا نكاد نتقدم في الزمن قليلا حتى تبرز الى الوجود صحف عربية كثيرة في الجزائر ، من أهمها اطلاقا « المنتقد » ، ثم الشهاب لابن باديس ، ٠ وصحف أبي اليقظان الكثيرة التي ظلت تتساقط في عمر الزهر : من وادي ميزاب ، (وميزاب) والمغرب ، الى الحق والنور والبستان ٠

وبينما ألفينا الصحف الوطنية ذات اللهجة الصريحة والاتجاه التقدمي ، تعطل الواحدة تلو الاخرى ، لاحظنا استمرار وجود الصحف المتحفظة اللينة اللهجة التي كانت تتخذ من التقية اسلوبا لها ٠ ومثل ذلك يقال في الصحف الحكومية الهوى ، كـ « النجاح » التي كانت أطول الصحف الجزائرية عمرا اطلاقا ٠

ونمضي الى العقد الرابع فتطالعنا صحف عربية كثيرة منها صحف جمعية العلماء الاربع : الثلاث المعطلات والرابعة البصائر التي عمرت من سنة خمس وثلاثين الى سنة تسع وثلاثين ، من هذا القرن ٠

ويمكن للباحث في شأن الصحافة العربية في الجزائر أن يصنفها أصنافا ثلاثة مستوحاة من طبيعة تطورها الذي خضع لمبدأ النشوء والارتقاء :

١ ـ فترة تمتد من مطلع القرن العشرين الى قيام الحرب العالمية الاولى ، وأهم الصحف العربية التي ظهرت في الجزائر ، خلال هذه الفترة اطلاقا : المغرب ، والاسلام والجزائر ، والحق،والفاروق،و ذو الفقار ، وكوكب أفريقيا (١٠) ٠

وتمتاز هذه الفترة بقلة القراء ، وصعوبة الطبع وسوء الاخراج ، وضعف الاسلوب ، واضطراب اللغة أحيانا ٠

٢ ـ فترة تمتد من سنة تسع عشرة وتسعمائة والف ـ وهي السنة التي صدرت فيها « الاقدام » و النجاح ـ الى قيام الحرب العالمية الثانية سنة تسع وثلاثين وتسعمائة والف ٠

وتعتبر هذه المرحلة مشرقة ، مزدهرة ، عرفت فيها الجزائر صحافة عربية راقية كثيرة متنوعة متطورة ٠

ويقترب عدد الصحف التي ظهرت خلال هذه المرحلة من ثلاثين صحيفة ـ تزيد قليلا أو تنقص قليلا ـ من أهمهن الاقدام ، والنجاح ، وصدى الصحراء ، والجزائر ، والمنتقد والشهاب ، ولسان الدين ، والبلاغ الجزائري ، وصحف أبي اليقظان الثماني ، وصحف جمعية العلماء الاربع ، والاخلاص ، والاصلاح ، والبرق ، والوفاق ، والتلميذ وأبو العجائب ، والليالي ، والمغرب العربي ، والجحيم ، والمعيار ٠٠٠

وتمتاز صحافة هذه المرحلة بفصاحة اللغة ونقاوتها في الغالب ٠ كما تمتاز بجمال الاسلوب ، وحسن الاخراج والحرص على التبويب والترتيب ٠ وفي هذه الفترة ازدهرت المقالة الصحافية ازدهارا طيبا ٠ كما نلاحظ أن أول جريدة يومية في تاريخ الصحافة العربية ظهرت خلال هذه الفترة أيضا ، وهي « النجاح » التي ابتدأت اسبوعية ، ثم نصف اسبوعية ، ثم يومية مع مطلع العقد الرابع من هذا القرن ٠

٣ ـ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الى قيام ثورة التحرير سنة اربع وخمسين وتسعمائة والف ٠ وهي وان تك أقصر المراحل الثلاث عمرا ، فانها أرقاهن صحافة وأسماهن قيمة ، اذ تمثل اوج الرقي الصحافي في الجزائر

وهذه المرحلة الاخيرة عرفت ، هي أيضا كالمرحلة الثانية صحفا كثيرة : مختلفة النزعات ، متباعدة الاهواء ، متباينة المشارب ، متناقضة الغايات التي كانت تستشرفها وتشرئب اليها ٠

ويخيل الي أن جريدة البصائر هي سيدة صحف هذه الفترة كلها ، على كثرتها ، لا من حيث المستوى فحسب ولا من حيث الاهداف الشريفة فحسب ، ولكن ايضا من حيث جمال الاخراج ، وعلو الاسلوب ، وجزالة اللغة وانعدام الاخطاء المطبعية ، وحسن التبويب والترتيب ٠ ونحسب أن جريدة « البصائر » الثانية تقوم جنبا لجنب في اعتزاز وفخار ، بجانب أي صحيفة في المشرق العربي ٠

ومن الصحف الراقية التي ظهرت خلال هذه المرحلة « الاصلاح » الثانية للطيب العقبي ، و « الوطن » لفرحات عباس ، و « الشعلة » لاحمد بوشمال ، واحمد رضا حوحو و « المغرب العربي » الثانية ، و « الذكرى »للبودليمي • ثم « صوت المسجد » لعبد القادر العاصمي ، و « افريقيا الشمالية » لاسماعيل العربي ، و « الحياة » وهي لهيئة الكشافة الاسلامية ، و « العبقرية » لعبد الوهاب بن منصور • وهذه الدوريات الاربع الاخيرة كن مجلاتيصدرن شهريا • وأرقاهن جميعا « افريقيا الشمالية » • بيد أن هذه المجلة التي كانت تصدر بالجزائر العاصمة لم يصدر منها الا خمسة أعداد على الاكثر • ولم تعمر « العبقرية » التي كانت تصدر بتلمسان ايضا الا قليلا ، ولم يصدر منها الا بضعة أعداد •

ومن صحف هذه الفترة ايضا « المساواة » لحزب البيان الجزائري ، و « الجزائر الجديدة » للحزب الشيوعي الجزائري •

ويلاحظ الباحث في شأن الصحافة العربية في الجزائر أن المدن الرئيسية التي كانت تصدر فيها أربع ، وهي : قسنطينة ، والجزائر ، ومستغانم ، وتلمسان ثم نجد بعض المدن الاخرى هي أيضا تعرف صدور صحف ذات أهمية لا تنكر ، منها وهران التي صدرت فيها « المغرب العربي » الاولى ، وبسكرة التي حاول الطيب العقبي أن يبعث فيها حركة صحافية وأدبية واصلاحية •

ولكن قسنطينة تستبد بالصدارة في هذا المجال ، حيث نجد ـ البصائر ـ الاولى تطبع فيها ابتداء من سنة سبع وثلاثين الى سنة تسع وثلاثين • ومثل ذلك يقال في ـ المنتقد ـ والشهاب ـ والنجاح ـ والبرق ـ والشعلة ـ • وكانت هذه الدوريات ، فيما يبدو ، تطبع كلها بالمطبعة الجزائرية الاسلامية التي أسسها ابن باديس •

ولكن مدينة الجزائر لا تقل عن قسنطينة استئثارا باحتضان الصحف العربية واصدارها ، حيث نجد ـ البصائر ـ الاولى تطبع فيها ابتداء من سنة خمس وثلاثين الى سنة سبع وثلاثين • ومن الصحف والدوريات التي كانت تطبع بها : صوت المسجد ، والرشاد ، والليالي والاصلاح الثانية ، وأفريقيا الشمالية ، وصحف أبي اليقظان الاخيرة ، والبصائر الثانية •

أما مستغانم فكانت عاصمة للثقافة الدينية والصوفية حيث نجد الصحافة المحافظة النزعة ، فنجد الزاوية العلوية تؤسس مطبعة عربية لهذه الغاية بهذه المدينة • وكان مما يطبع فيها : البلاغ الجزائري ، ولسان الدين ، ومجلة المرشد الشهرية •

أما تلمسان فلم تعرف الا دورتين خلال هذه المرحلة ، وهما : الذكرى ، والعبقرية •

٣ ـ قراء الصحافة العربية في الجزائر :

ان الصحافة من حيث هي ، لا تكون في مألوف العادة بدون قراء ، كما أن القراء لا يكونون بدون صحف أو كتب غير أن المصادر ضنينة جدا علينا في هذا المجال ، بحيث لم نظفر الا بمصدر وحيد أشار الى هذهالقضية بشيء من العناية العلمية •

ذلكم هو كتاب ـ الجزائر ـ لاحمد توفيق المدني الذي القى بعض الضياء على هذه المسألة ، فأنار جزءا من سبيلها الضيق الطويل (١١) • وقد أتاح لنا توفيق المدني بما ذكر من ارقام ، أن نضع جدولا علميا لقراء الصحافة العربية في الجزائر • ونحن نأسف أشد الاسف أن هذا الجدول لا يشمل الا جزءا من المرحلة الصحافية الاولى وطرفا من الثانية • أما المرحلة الثالثة وهي أخصب المراحل الصحافية ، فاننا لم نظفر في الوقت الراهن بأي مصدر علمي دقيقمن شأنه أن يجيب عنالاسئلة الكثيرة التي يمكن أن يلقيها باحث •••

ومع ذلك ، فان هذه الاحصائية تفيدنا بأن عدد القراء ارتفع من ثمانية آلاف قارىء في الشهر ، تقريبا بالنسبة لسنة أربع عشرة وتسعمائة والف ، الى أربعة وثمانين الفا ومائة الف ، في الشهر • وبذلك يكون عدد القراء تضاعف أكثر من عشرين مرة ، في خمس عشرة سنة •

وهذا هو الجدول الذي استوحيناه من كتاب ـ الجزائر ـ للشيخ توفيق المدني :

اسم الصحيفة	نوعها			عدد نسخها	سنة الاحصاء	عدد القراء شهريا
	يومية	اسبوعية	شهرية			
الفاروق		+		١٠٠٠	١٩١٤	٤٠٠٠
ذو الفقار		+		١٠٠٠	١٩١٤	٤٠٠
النجاح	+			٥٠٠٠	١٩٣٠	١٥٠٠٠٠
البلاغ الجزائري		+		٢٥٠٠	١٩٣٠	١٠٠٠٠
المغرب		+		٢٥٠٠	١٩٣٠	١٠٠٠٠
الشهاب			+	٢٠٠٠	١٩٣٠	٨٠٠٠
الاصلاح		+		٣٠٠٠	١٩٣٠	١٢٠٠٠

والذي يتأمل هذه الاحصائية ، يستخلص منها نتائج علمية ، لعل من أهمها :

١ ـ أن عدد القراء يجب أن يكون قد تضاعف بعد سنة ثلاثين وتسعمائة والف ، بنسبة أكبر : لظهور صحافة جديدة قائمة على اديولوجية جديدة ، ولا سيما صحف العلماء التي كانت تحارب الاستعمار ، في الوقت الذي كانت تحارب فيه الطريقة الضالة ، والتدجيل الباطل ٠

٢ ـ ان الصحف العربية كانت تظهر ثم تختفي ٠ وهذا الديدن كان يجعل القراء الجزائريين يضيعون ويتيهون بحثا عن صحف عربية أخرى جديدة ، ليقرأوها ٠ بيد أن هذا التيه كان يزيله صدور صحف جزائرية أخرى جديدة تحمل من الافكار ما كانت تحمله سابقاتها المعطلة ٠

٣ ـ ان نسبة القراء كانت ترتفع بتقدم السنين لازدياد عدد المتعلمين بالعربية الذين كانوا يتلقون دراستهم في مدارس العلماء وغير العلماء من الهيئات الوطنية الاخرى التي كانت تعنى بتعليم العربية للنشء الجزائري من وجهة ، وتغير الصحف أو تكاثرها من وجهة أخرى ٠فأمة بأسرها تملك صحيفة واحدة ، لا يمكن أن تقرأ ما تقرأه أمة أخرى ، لها صحف كثيرة ، حتى لو افترضنا جدلا ، بأنهما في مستوي واحد من العلم والثقافة ، وفي مقدار متساو من العدد ٠

٤ ـ ان القراء بالعربية في الجزائر كانوا يميلون الى الصحافة اليومية ، ثم الاسبوعية ، ثم الشهرية ٠ فكنا نجد عدد القراء يتضاءل كلما تباعد ميقات صدور الجريدة أو الدورية ، فـ ـ النجاح ـ كانت تطبع يوميا خمسة الاف نسخة ، بينما نجد ـ الشهاب ـ ، لايطبع منها الا الفان ٠

وهذا يعود في تقديرنا ، الى شيء اخر يتمثل في كون القراء تختلف مستوياتهم الثقافية والفكرية ، باختلاف أحوال الصحف وأنواعها ٠ فالمجلات يقبل عليها أرقى مافي الامة من مثقفين ومتعلمين ٠ والجرائد الاسبوعية يقبل عليها أنصار الهيئة السياسية أو الدينية أو الصوفيـــة التي تقوم على نشرها ، في الغالب ٠ في حين أن الجريدة اليومية يقرؤها الناس ، لانها كانت توجز لهم ما يدور في العالم ، فتكون ذات طبيعة اخبارية أو اعلامية ، أكثر منها ثقافية أو أدبية ٠

٤ ـ أثر الصحافة العربية الجزائرية في تنشيط الاقلام :

حين عرفت الجزائر الصحافة العربية على يد الفرنسيين لم يك لتلك الصحافة ، كما أسلفنا ، من العربية الا اسمها أما الالفاظ وفصاحتها ، والتعابير ودقتها ، والمعاني وعمقها والاساليب وفحولتها ، فلم يكن لهامنها شيء قليل أو كثير ٠

أما حين جاء الجزائريون الى هذه الصحافة العربية ليعنوا بأمرها ، فانهم حاولوا ترقيتها شكلا ومضمونا ، وأسلوبا ومحتوى ٠ والحق أننا لا نكاد نعرف ، في الوقت الراهن ، عن اسلوب صحافة المرحلة الاولى في الجزائر شيئا قمينا بأن ينير لنا سبيل البحث ٠ بيد أننا نفترض أن اسلوب الصحافة الجزائرية خلال المرحلة الاولى من نشأتها ، كان مهلهلا الى حد بعيد ٠

وليس معنى ذلك أن صحافتنا كانت تكتب بالعامية بل ان الكتاب الجزائريين ظلوا محافظين حتى في أحلك الظروف وأصعب الازمنة ، على اصطناع عربية فصيحة اللغة ، وانما معناه أن هذه الفترة لم يتـح لها أن تعرف كتابا ادباء من الطراز العالمي ، فكان من نتيجة ذلك أن الصحافة : صحافة هذه الفترة التاريخية المبكرة ، لم تلتزم اسلوبا ادبيا جميلا ، وانما كانت غايتها الافهام والتبيين ٠

ولكننا لا نكاد نثب الى المرحلة التاريخية الثانية من عمر الصحافة العربية في الجزائر ، حتى يتغير الامر رأسا على عقب ، وظهرا على بطن ، فيبرز كتاب جزائريون كبار لهم أساليب فنية خاصة بهم ، تطبع كتاباتهم الصحافية وغير الصحافية بطابع شخصي محض ، فتظهر جريدة ـ النجاح ـ التي أسهمت اسهاما كبيرا في تطوير اللغة العربية الفصحى في الجزائر وتطويعها للتعبير عن أغراض الكتاب ومقاصدهم • فتصبح أداة لينة غضة يتصرفون فيها بأقلامهم كيف يشاون • ولا ينقص من هذه الجريدة في هذه المسألة بالذات ، أنها كانت حكومية الهوى في اتجاهها السياسي في أواخر حياتها •

ثم تظهر من بعد ذلك صحف عربية اخرى كثيرة ، قد تربو على الثلاثين : فتنفق سوق الادب ، وتخفق رايته ويتألق نجمه الذي كان آفلا •

لقد كانت الحياة السياسية سيئة جدا • أما الحياة الاجتماعية فلم تكن أقل منها سوءا ، بل كانت أكثر اضطرابا ، على حين أن الحياة الثقافية كانت من السوء والشقاء والاضطهاد ما جعلها تتيه فيلتوي بها الطريق • غير أن هذا السوء لم يحظر المتقفين الجزائريين ، وكتابهم بوجه خاص ، من أن ينبروا الى مجال الادب فيحاولوا أن يبدعوا ، ويعبروا بالكلمة الفاضلة ، فأخذوا يبحثون عن الوسيلة المثلى التي تتيح لهم أن يسمعوا أصواتهم للشعب فاذا هذه الوسيلة تتمثل في الصحافة • فأنشأ الكتاب الجزائريون ينشرون مقالاتهم وكتاباتهم على اختلافها في الصحف السيارة التي تكاثرت ، في المرحلة التاريخية الثانية ، تكاثرا شديدا •

وكان هذا التكاثر متمثلا في ظهور العناوين الجديدة بصورة مستمرة • وكانت هذه العناوين الجديدة في حد ذاتها ، خاضعة لعلة كانت محتومة ، وهي قرارات التعطيل التي كانت تنصب على الصحف العربيةالجزائرية انصبابا فيه أسواط العذاب ، وعصي النكال والاضطهاد • ينضاف الى ذلك ضعف الاعتمادات المالية ، وصعوبة الطبع وقلة القراء ، لانتشار الامية الفاحشة في تلك الفترة الزمنية المضطربة من تاريخ الجزائر ، نتيجة حتمية لوجود الاستعمار بها •

ونحن نميل الى أن ظهور الصحافة العربية الجزائرية وانتشارها نسبيا ، ثم ازدهارها نسبيا أيضا ، كان من العوامل التي مكنت للنثر العربي الحديث في الجزائر أن ينشأ ، ثم ينمو ، ثم يتطور تطورا لا يخلو من بطء وريث ولكنه ظل مستمرا مصرا مطردا ، يسعى على رجليه نحو الرقي •

وكان الكتاب الجزائريون يفزعون الى هذه الصحف ليعبروا فيها عن آرائهم السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية ، محاولين تصوير المشاكل التي كان مجتمعهم يعانيها • فهم قد اتخذوها منبرهم الذي يخاطبون منه الشعب ، فيهدونه سواء السبيل خشية أن يضل ، ويوقظوه مخافة أن ينام ، وينبهونه حتى لا يقعفي الافخاخ السياسية التي كان الاستعمار الفرنسي لا يتورع في نصبها لدى كل طريق ، واقامتها عند كل مجاز •

أكان النثر العربي الحديث في الجزائر ينشأ ، ثم يتطور على هذا النحو الذي وجدناه عليه فيما بعد الحرب العالمية الاولى ، لو لم تتهيأ له هذه الصحافة العربية التي مهما كانت مختلفة في مشاربها ، متباينة في مراميها البعيدة ، فانها كانت جميعا تنشد نشر الثقافة العربية ولغتها ، وتتوخى النثر العربي في الجزائر من حيث كانت تشعر ، أو من حيث لم تكن تشعر ؟ فاذا هذه الفترة المبكرة من تاريخنا الوطني ، تعرف كتابا ممتازين ، وكتابا متوسطين وكتابا من الدرجة الاخيرة ، ولكنهم جميعا شاركوا في تطوير اسلوب الصحافة وتهيئة الجوالملائم له ليصبح معبرا صافيا نقيا ، منذ بداية العقد الثالث من هذا القرن • وما جاء العقد الرابع حتى كان اسلوب الصحافة العربية في الجزائر اسلوبا راقيا الى حد كبير • وربما لم يكن أقل رقيا وسموا من الاساليب العربية التي كانت قائمة في المشرق العربي • ومن دلائلنا على ذلك أن محمد السعيد الزاهري كان يكتب باستمرار في الدوريات المشرقية ، كالفتح ، والمقطم والرسالة للزيات • كما أننا نجد الابراهيمي يفتخر بكون اسلوب « البصائر » كان مثار اعجاب شديد لدى المشارقة (١٢) • وليس هذا موطن دراسة هذه القضية وسوق البرهانات الدامغة لها لكي تثبت وتقوم •

ولا التفات لما زعم أديب مروة من أن اسلوب الصحافة الجزائرية كان ركيكا ، حين قال :

« والجدير بالذكر ، أن صحافة الجزائر العربية ظلت صحافة ركيكة اللغة ، ضعيفة المبنى والشكل » (١٣) ٠ فهذا الرأي لا يقوم على أساس من الحق ، ولا على منطلق من العلم ٠ ورجل يخطيء في عناوينها وتواريخ صدورها ، وتواريخ تعطلها ، ومن حيث نسبتها الى أصحابها الذين أنشأوها وحرروها ، لجدير برأيه حول اسلوبها أن يكون ساقطا لا يعتبر ، وملغى لا يذكر (١٤) ٠

وتبدو فيولة هذا الرأي حين نسوق عليه أدلة من نصوص هذه الصحف التي زعم أديب مروة أن اسلوبها كان ركيكا ضعيف المبنى (١٥) ٠

ولنؤب الى ما كنا فيه من حديث ٠

ومن الكتاب الذين طوروا الصحافة العربية في الجزائر ، فاسهموا بذلك في تطوير النثر العربي لدينا الشيخ محمود كحول الذي برزت موهبته الصحافية في جريدة « كوكب أفريقيا » (١٦) ٠ وممن برزت مواهبهم الصحافية في هذه الفترة الاولى الشيخ عبد الحميد بن سماية ، وعمر راسم الذي كان يشرف على جريدة « الجزائر » التي كانت أول جريدة عربية في الجزائر لا تصدر عن هيئة استعمارية (١٧) ومن الكتاب الصحافيين اللامعين عمر بن قدور صاحب « الفاروق » ، والذي راسل خمس عشرة دورية في المغرب والمشرق (١٨) ٠

وممن كانت لهم اليد الطولى على الصحافة العربية وتطورها شكلا ومضمونا ، خلال النصف الاول من هذا القرن في الجزائر : أحمد توفيق المدني ، ومحمد مبارك الميلي ، وعبد الحميد بن باديس ، ومحمد البشير الابراهيمي ، والطيب العقبي ، ومحمد السعيد الزاهري ، واحمد رضا حوحو ، وعبد الحفيظ بن الهاشمي ، وابراهيم أبو اليقظان ، وأحمد بن ذياب وعلي مرحوم ، ومحمد العاصي وسواهم ممن لانستطيع ذكرهم جميعا ٠

فما من هؤلاء الا ملأ الصحف الجزائرية من نتاجه النثري ، وبيانه العربي ٠ وما من هؤلاء الا من كانت الصحافة العربية في الجزائر سببا في ابراز شخصيته وصقل موهبته ، وتفتح عبقريته الابداعية ٠

أفلا يحق لنا أن نزعم بعد كل هذا ، أن الصحافة العربية في الجزائر ، كانت عاملا أساسيا من العوامل التي مكنت للنثر العربي الحديث أن يولد في الجزائر ثم ينمو ويتطور الى أن بلغ درجة الكمال في منتصف هذا القرن ، على يد محمد البشير الابراهيمي ، ونفر ممن معه ، في مقالات صحافية منقحة : عالية اللغة راقية الاسلوب ! ٠

د ٠ عبد المالك مرتاض

١ ـ الموسوعة العربية : ـ صحافة ـ القاهرة : ١٩٦٥ ٠

٢ ـ تاريخ الصحافة في الجزائر للزبير سيف الاسلام : ١١٢-١١٣ ، والحركة الوطنيةالجزائرية للدكتور أبي القاسم سعد الله :١٥٦

٣ ـ الدكتور عمار طالبي : اثار ابن باديس : ١-٥٥ ٠

٤ ـ الدكتور أبو القاسم سعد الله : الحركةالوطنيةالجزائرية : ١٥٦

٥ ـ الدكتور أبو القاسم سعد الله : الحركةالوطنيةالجزائرية : ١٥٧

٦ ـ المصدر السابق ٠

٧ ـ المصدر السابق ٠

٨ ـ توفيق المدني : كتاب الجزائر : ٣٤٤ ، والحركة الوطنية الجزائرية للدكتور سعد الله : ١٥٧ ، واثار ابن باديس :١-٥٥

٩ ـ د ٠ سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٦-١٥٧ ٠

١٠ ـ انظر الحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٦-١٥٧ ، وكتاب الجزائر : ٣٤٨ ، ٣٤٤ ، واثار ابن باديس : ١-٣٢ ، ونهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة : ١٢٤-١٢٦ ٠

١١ ـ احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر : ٣٤٨ ط ٢ ٠

١٢ ـ راجع البصائر الثانية : ع ٨٦ ٠

١٣ ـ الصحافة العربية : ٣٩٦ ٠

١٤ ـ كتبنا بحثا سينشر في مجلة ـ الاقلام ـ العراقية ، بينا فيه الاخطاء التي وقع فيها الكتاب العرب الذين تناولوا حديث الصحافة الجزائرية ٠

١٥ ـ عالجنا ذلك في بحث غير هذا ٠

١٦ ـ اثار ابن باديس : ١-٣٢ و ٥٥ ٠ وكتاب الجزائر : ٣٤٤ ٠

١٧ ـ كتاب الجزائر : ٣٤٤ ، والحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٧ ، واثار ابن باديس : ١-٥٥ ٠

١٨ ـ الثقافة ـ الجزائر ـ : ع ١ ص ٨٣ و ٨٥ ٠

عن الثقافة الجزائرية

أوّاه يا سفر

شعر : مصطفى الغماري

مصطفى الغماري شاعر موهوب قدم للمكتبة العربية مجموعة أولى بعنوان – من أسرار الغربة – ١٩٧٨ ومجموعة ثانية بعنوان – نقش على ذاكرة الزمن – ١٩٧٩ .. وهو ذو نفس أصولي .. وفكرة في الشعر يتمثل في الصوت الاسلامي الذي يرمي الى الحضارة الاسلامية .. يعمل الآن معيدا في كلية الاداب بجامعة الجزائر .

جرح يغيم .. وموجة تنأى .. وشطآن تلوب
ومدى تسكع في شفاه الدهر يجهضه الغروب
والمدلجون هوى ترمده المسافة .. والقلوب
أغنية السفر المديد ، ولوعة دمها خضيب

● ★ ●

أجياد من غنى الزمان ؟ فأورقت فيه دروب
أجياد من ؟ وتلفتت ذكرى ، ورق هوى وطيب
أوراقه للنور ما غنت .. فراق لها هبوب
شربت شفاه العطر منها والندى والعندليب

● ★ ●

جرح يغيم .. ورؤية خرساء . أصرخ .. لاتجيب
وثمالة غربية الابعاد .. حاضرها ندوب
مشلاء .. لا دمها يثور هوى .. ولا غدها رطيب
والحاقدون الحاقدون دمى تحركها جيوب
ظمئوا .. وما غناهم كرم .. ولا لحن صبيب
وتهامسوا .. من قبح أغنية السراب لهم وجيب

غدهم على الضوء السخي دجى - ولو قدروا - وهيب
ينثال ملء دمائهم رعب تمصمصه الخطوب
عصف الزمان بهم فليس لهم بوادينا رقيب

● ★ ●

في مثل أوراق الربيع الرطب وجهك يادروب
ينهل فجرا ترتوي من عطره تلك السهوب
فعلام يبحر في مداك مولولا ·· وتر غريب
وتر بكف اللاهثين دمى يضاجعها اغتراب
فهم بقافلة الضياع المر - لو علموا - سراب
يتسكعون على مرايا الجوع يضويها التهاب
يتهافتون ·· ومن صديد الليل طاب لهم شراب
سكروا ·· ومن مزق الدجى تغريهم الخمر اليباب
ان أشرقت من أفقنا شمس الهوى الخضراء غابوا
جبنوا ·· ونحن على جبين الفجر ألوية غضاب
شابوا ·· وانا يا زمان بكل معترك شباب
« لاهور » ان ظمئت مواجد حبنا خضر الجواب
« أوراس » في عطش « العيون » ملامح غضى غراب
النار فوق جبينه ورد ·· ورايته عقاب
فتميد أعراس الشباب هوى ·· وقد شاب الغراب
وهناك يا أبعاد ·· ليلى ·· تشرئب لها الرقاب
يا قدس ·· نحن الرافضون ·· وان طغى زبد كذاب
سخر الزمان ·· فتاه في عقم الرؤى عجب عجاب
وتحكم المستسلمون ·· بكل مهزلة خطاب
وعلى الظلال السمر ·· ينجر الدجى ظفر وناب
أواه يا سفري ·· أسافر فيك ·· يرتحل السحاب
أتعرف الاشياء ·· تخدعني المرايا والخضاب
لن تورق الاضواء الا حين ينتحر الضباب
لن يمطر الافق الندى ·· وفي المدى لهث السراب

الجزائر العاصمة / مصطفى الغماري

أبو اليقظان
والثورة السورية الأولى

د. صالح خرفي

لا أعتقد أنه من التجني على الواقع الادبي في المشرق العربي القول بأن أول التفاتة منه الى الجزائر، لا ترجع الى ابعد من غرة نوفمبر ١٩٥٤ . بل أقرب من ذلك . فثورة المليون شهيد . هي الوحيدة التي استطاعت أن تجتذب أنظار الشعراء والادباء . لتجاوب أدبي . عميق المشاعر، منتظم الانفاس . وحتى ٨ مايو ١٩٤٥ . الذي أطاح بخمسة وأربعين ألف من خيرة أبناء الجزائر . هذا اليوم الاسود، لم تبكه دمعة سخينة، ولا رثاه بيت شعر في المشرق .

ولا أعتقد مرة ثانية . أنه من المبالغة في شيء . القول بأن الشعر الجزائري ـ على تأخر نهضته، وتقطع أنفاسه، واهتزاز بنائه ـ عاش وثيق الصلة، أصيل التجاوب مع أحداث المشرق العربي والاسلامي منذ الحرب العالمية الاولى . وهي تاريخ ميلاده، وميلاد صحافة عربية حرة في الجزائر .

ولست هنا بصدد مقارنة أدب بأدب، أحدهما الطائر المحكي، والاخر الصدى ولا بصدد مقاربة بين الثرى والثريا، أو وضع قصيدة (لابي اليقظان) في الثورة السورية سنة ١٩٢٥، الى جانب :

« سلام من صبا بردى أرق » لامير الشعراء (أحمد شوقي) في المناسبة ذاتها .

ولا المجال مجال مقارنة « فنية » تأباها المفارقات التي عاشها شعراء هم عنوان النهضة في المشرق المتفتح الواسع العريض، وشعراء هم أثر من آثار تلك النهضة . في الجزائر بأفقها المنغلق، وجوها الخانق المسموم .

أن أدعاء هذه المقارنات بجانب هذه المفارقات ضرب من التجني حقا .

أنما الذي يفرض الاعجاب، وقد يصلح مجالا للمقارنة . هو هذا الوعي العربي المبكر الذي تفتح عليه الشاعر الجزائري، منذ أنفاسه الاولى، ولعله وهو يتجه الى الشرق مرادا للثقافة والفكر، وعى أحداثه ومشاكله، قبل أن يعي أحداث بلاده . أنه وهو في هذه البقعة النائية من العالم العربي ـ مسافة وسياسة

ـ أقرب ما يكون اليه شعورا واحساسا • كان التجاوب اشبه بالذبذبة اللاسلكية ، لا يزيدها بعد المسافة الا وضوحا وتركيزا •

كانت الصحافة العربية في الجزائر في بداية نهضتها • تلهث وراء أحداث المشرق تتسقط أخباره الوطنية ، ووثباته الادبية • تناقشها أو تعيد نشرها ، بل ذهب التجاوب أبعد من ذلك ، فشد رحاله الى المهجر، يستقى من أدبائه ، ويشيد بهم فحفلت الجرائد والمجلات بقصائدهم ومقالاتهم •

في وقت كانت (الرومانسية) فيه تخيم على أدباء المشرق • و « الغنائية » تدغدغ أحلام الشعراء ، فلا يكاد ينطلق صوت ثوري ، الا مدفوعا ومرغما بحدث يميد بالارض ، أو مذبحة تذهب بالعشرات •

حادثة (دنشواي) في مصر • أو شهداء ١٦ أيار في دمشق وبيروت مصرع « يوسف العظمة » في ميسلون أو (عمر المختار) في ليبيا •

وحتى هذه الاحداث المريعة • قد تكون الاستجابة لها من طرف الشاعر متثائبة متقاعسة • لايكاد يهتز لها ، الا بعد مرور سنة عليها •

كتب (شوقي ضيف) عن موقف « شوقي » من حادثة دنشواي فقال :

« ونحن نعرف قصة ـ دنشواي ـ القرية المصرية الحزينة ، فقد مر بها جنود الاحتلال سنة ١٩٠٦•وصادوا حمامها الداجن ، فلما حاول أهلها أن يقنعوهم بأن لا يفعلوا فعلتهم • ظن أحدهم أثناء ذلك أنهم يريدونه بالسوء • فجرى على وجهه لا يلوي فأصيب بضربة شمس فمات • ورأى اللورد كرومر أن يعاقب أهل القرية ، فحوكموا محاكمة وحشية ، وصلبت طائفة منهم ، وسجنت طائفة ثانية ، وعذبت طائفة ثالثة ، وغضبت مصر وثارت ، وملا الحقد صدرها ، والغيظ قلبها • ومع ذلك لم يستجب الشاعر لكل هذه الثورة ، وما أنطوى فيها من غضب وحقد وغيظ الا بعد مرور عام على الحادث• اذ نراه ينظم مقطوعة يسميها (ذكرى دنشواي) وفيها يقول :

يا (دنشواى) على رباك سلام
ذهبت بأنس ربوعك الايام

وكانت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ضد الاحتلال الفرنسي ، في طليعة الاحداث التي هزت الشعر العربي ، وغذته بروح قومية ، وفتحت عينيه على أطماع الغرب ، وما يبيته من شر للوطن العربي • فخلدت هذه الثورة على السنة الشعراء • وتصعدت لهبا مع أنفاسهم الثائرة• خلدها « شوقي » و « خير الدين الزركلي » و « محمد البزم » و « خليل مردم » و « شفيق جبري » •

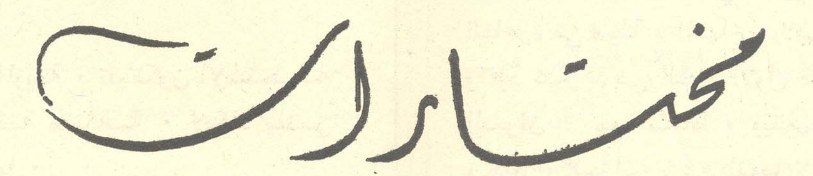
وفي الجزائر كتب عنها « أبو اليقظان » • وأبو اليقظان • صحافي قبل أن يكون شاعرا • ولكنه حتى الدقيقة ـ أطال الله بقاءه ـ لايزال وفيا لكتابة الشعر • صدر له ديوان في سنة ١٩٣٢ • وصاحب سبع جرائد عربية صدرت في الفترة بين ١٩٢٦ ـ ١٩٣٤ •

وهذه القصيدة في الثورة السورية • نشرت في القاهرة في مجلة « المنهاج» «لابي اسحاق ابراهيم طفيش» وأعيد نشرها في الجزء الاول من شعراء الجزائر • وفي الديوان • مع اسقاط « بيتين » قال عنهما صاحب « شعراء الجزائر » : « انهما لا يتعادلان مع مزاج الضيف الثقيل » • ويقصد فرنسا •

والقصيدة ثورة عامة • أكثر منها تجسيما لمناسبة خاصة ، ومجابهة صارخة للغرب أكثر منها معالجة للثورة السورية • وهي وقفة تشير الى عمق الوعي المبكر في الجزائر بأخطار الغرب على الشرق العربي •

ابن صرح المجد عن أس الضحايا
أو أشد عرش العلا رغم البلايا
خض غمار الهول غوصا • أنما
لؤلؤ التيجان في بحر المنايا
انما الدنيا جهاد • من ينم
يومه • داسته أقدام الرزايا
ولنيل الحق أدوار • غدت
خطوات • حازها أهل البرايا

ليس حكم النفى ، والسجن ، ولا
الحكم بالشنق له الا مطايا
أي شعب ؟ نال ما نال • اذا
لم يقدم سلفا تلك الهدايا
أي شعب ؟ نال حريته
وهو لم يطلع لها تلك الثنايا
ان أهل الغرب • خطوا خطة
لبنى الشرق • بدت منها خفايا
بدت البغضاء من أفواههم
وهي عنوان على ما في الطوايا
زعموا أنهم رسل السلام
وهم غرقى بأوحال الخطايا
سفهوا أحلام « ولسون » وقد
كان روح السلم في تلك الوصايا
وبأيدي هادمي « باستيلهم »
هدموا في الشرق هاتيك البقايا
لا تته يا غرب • فالظلم له
أمد • ان حل ، حلتك بلايا
فبنوك الصم ، طاروا وعلوا
فأثاروا عنهم كل الرعايا
فلكم شعب ضعيف • هب من
نومه ، وافته أصناف التحايا
فاذا جاهد في استقلاله
مستميتا • نال أنواع العطايا
أن للحق لسلطانا • اذا
خفقت رايته • أبدى المزايا



الفرحة الكبرى

للشاعر : صالح خباشه

خفق النصر في ربوع بلادي أي أرض تقلني ، أي ناد
نشوة تغمر القلوب ، وتروي كل شعب الى التحرر صاد
فرحة العمر تستقر بقلبي فكأني مجدد الميلاد
سوف نجني ثمارنا يانعات ما لها من تصوح أو نفاد
أيهذا النصر ، لحت بدرا منيرا فكن الشمس ، واطو كل فساد
وكن البلسم العجيب لشعب حز فيه تقادم الاصفاد
كن سلاما يشع من كل قلب وأمانا يقر في الاكباد
فاخروا الكون بالجزائر فاعجب لفخار الجدود بالاحفاد

مدخل الى الحركة الشعرية الجزائرية الشابة

بقلم : محمد زتيلي

مشكل رقم ١ :

هناك مشكل رئيسي يعترض كل من أراد الكتابة في موضوع الحركة الادبية الشابة في الجزائر يتمثل في انعدام المراجع التي يستطاع الاعتماد عليها ، فمعظم نتاجات الادباء الشباب ما تزال موزعة في المجلات والصحف سواء ما يصدر منها في الجزائر أو الوطن العربي عموما .

لكن بالرغم من ذلك سأحاول في هذا المدخل أن أرسم شارات على الطريق ، وأن أبين الخطوط العريضة لمسار الحركة الجزائرية الشابة فيما بعد الاستقلال ، حتى يتمكن القارىء أينما كان من التعرف على حركة الادباء الشباب في جزء من وطننا العربي الكبير ، ليحدث اللقاء والتعرف ، والاستفادة من التجارب الجديدة ، وفي ذات الوقت كشف امكانات وطاقات الانسان العربي الجديد .

لماذا الحركة الشعرية الجزائرية الشابة ؟

لعل سائلا يطرح هذا السؤال ، وباختصار شديد نجيب :

١ ـ لان الحركة الشعرية الجزائرية الشابة أكثر التحاما وأصدق تعبيرا عن طبيعة المرحلة ، أي عن مهام مرحلة البناء الوطني ، وعن القضايا التحررية في الوطن العربي والعالم ، تماما مثل أدباء الثورة التحررية الذين عبروا وبصدق الشاعر وحرارة الثورة التي عايشوا وسط انفجاراتها المتوالية .

٢ ـ لان الدراسات التي تعرضت بالبحث لهذه الحركة قليلة ان لم نقل معدومة .

٣ ـ لان هذه الحركة ـ نتيجة لعوامل مركبة ـ تكاد تكون مجهولة ، سواء من طرف المثقفين في الداخل أو في الوطن العربي ، واعتقادنا الغالب أنها متجاهلة لعوامل معقدة كذلك ، تاريخية وحضارية .

ما مفهوم الحركة الشعرية الشابة ؟

أي ما هو المعيار المتخذ كأساس للتفرقة بين شاعر شاب وشاعر شيخ ؟ ويمكن أن يطرح هذا السؤال في أي بلد كان . وتعد الاجابة عليه مدخلا ضروريا ويمكننا من رسم حدود الموضوع الذي اتخذناه هدفا لنا . ومن البدء

أرفض معيار السن ، فليس كل شاعر كبير في العمر شاعرا كبيرا ، وكذلك ليس كل شاعر صغير في السن هو شاعر شاب دائما ، فكثيرا ما نجد شاعرين يفصلهما فارق كبير في السن ، أحدهما في الثلاثينات مثلا والاخر في الستينات ، ومع ذلك نجد الشاعر الشاب يكتب قصائد أجود من الشاعر الشيخ ٠ ونلاحظ أن هذا المعيار اذا كان لا يظلم الشعراء صغار السن فانه يوقعنا في خطأ يتمثل في امكانية اعتبار شاعر كبير السن شاعرا شيخا رائدا ٠ مع أنه لم يبدأ الكتابة الا مؤخرا ٠ أو بدأها مبكرا ثم راح ينقطع عن ذلك ولفترات زمنية طويلة دون أن يتطور مستوى القصيدة لديه ٠ مثل هذا الشاعر لو طبقنا عليه معيار السن لادرجناه ضمن قائمة من الشعراء لا يجب أن ينسب اليها ، فهذا المعيار اذن يغفل قضية جوهرية هي مستوى القصيدة المكتوبة ٠

كما أن المعيار المذهبي أو الايديولوجي معيار مرفوض وان كان يمكن الاخذ به في تقييمات عديدة ٠ فهو في هذه الحالة يوقعنا في اشكالات لا حصر لها ويبعدنا عن الهدف ٠

ونعتقد أن المعيار السليم الذي يمكن اعتماده كأساس للتفرقة بين شاعر واخر هو عمر التجربة ومستوى النضج الذي وصلت اليه القصيدة عنده ٠ لهذا فان معيار الاجيال وحده الذي يمكننا من تحسس الطريق واضاءة الصورة ٠

جيل السبعينات :

بدأ الشعراء الجزائريون الشباب الكتابة في السبعينات منهذا القرن ـ مع الاشارة الى بعض البدايات الضعيفة لكثيرين منهم ـ وينطبق هذا المعيار ، أو هذا التحديد الزمني على كثير من الحركات الادبية في معظم البلاد العربية والعالم ٠

مميزات هذه الحركة :

تمتاز حركة الشعراء الشباب في الجزائر بمميزات عديدة تميزها عن جيل الرواد (محمد العيد آل خليفة مفدي زكريا ، محمد ابو القاسم خمار ، سعد الله أبو القاسم ٠٠٠) وأهم هذه المميزات :

اولا : الحداثة ـ ونقصد بها جانبي الشكل والمضمون ٠ فالحرية الشعرية الشابة وحدها التي استطاعت أن تواكب حركة الادباء الشباب في الوطن العربي ، وأن تضيف اليها ٠ كما أنها تمكنت من أن تشكل رافدا جديدا للحركة الشعرية العربية الحديثة ، (رزاقي عبد العالي ، عمار أبو الدهان ، أحمد حمدي ، عمر أزراج ، ادريس بو ذيبة ، عبد الحميد شكيل ، حمري بحري ، حديبي مسعود ، ٠٠٠ وغيرهم) ٠ وان الصراع القائم بين الادباء الشباب والرواد اساسه الانتماء الايديولوجي ، أي المضمون أو المطروحات التي تتضمنها قصائد كل من الطرفين والقضايا التي يدافع كل طرف من أجلها ويعتقد أنها أساسية في مرحلة البناء الوطني الحاسمة ٠ واذا قلنا أن الحداثة بشقيها « الشكل والمضمون » هي الميزة التي تطبع شعر الشباب في الجزائر فهذا لا ينفي وجود شعراء شباب يكتبون قصائدهم على الطريقة الخليلية ، وخير من يمثل هذا التيار (مصطفى الغماري ، ابن رقطان محمد) ٠ لكن الملاحظ من طرف النقاد أن مستوى الطرح في هذه القصائد العمودية لا زال حبيس الرؤية التقليدية للامور ، وتسيطر عليه النظرة الفلسفية ، كما تنقصه الرؤية الثورية ٠

ولعل هذا يؤكد لنا مدى الارتباط القوي بين الشكل والمضمون ٠

ثانيا : التطور ـ وهي السمة التي تطبع هذه الحركة ، ويقصد به البحث المستمر عن الاشكال والرؤى الاكثر ملائمة للتعبير عن طبيعة المرحلة التي تعيشها البلاد وعن الموضوع المطروح ٠

ثالثا : الالتصاق القوي بالارض والثورة ـ وهذه السمة موجودة ايضا لدى شعراء الجيل السابق ، لكن الاختلاف بسيط جدا وهو أن الجيل السابق عاش الثورة التحررية ومارسها ، وعبر عنها صادقا ٠ والجيل الشابيعيش ثورة التحرر الاقتصادي والبناء الوطني ويساهم فيها بكل قوته وطاقته ٠ فالاختلاف اذن يكمن في طبيعة المرحلة التي يمرون بها ٠

العيوب :

لاشك أن عيوبا عدة لا زالت تلازم تجربة الشعراء الشباب ، وهي بالرغم من مرحليتها المحدودة ، الا أن التفطن لها يساعد كثيرا على تفاديها وتخطيها بسرعة ٠ ومن هذه العيوب نذكر :

١ ـ اللجوء في كثير من الاحيان الى الغموض المغلق أو التعتيم ٠

٢ ـ ان الصورة الشعرية تميل الى اللاوضوح ، رغم الوضوح المشرق لامال وطموحات الانسان الجزائري٠

٣ ـ سلطة المضمون غير الجيد على الشكل الفني للقصيدة ٠ ونعتقد أن من أسباب هذا السقوط الجري وراءالمناسبات ، والترديد الحرفي اللاواعي للشعارات السياسية دون أن يبذلوا محاولة للتعمق في الفهم ٠

٤ ـ ضعف الخلفية الفكرية ، أو المحصلة الثقافيةلبعضهم مما يفقدهم عمق الطرح بوعي جيد من جهة ، ومن جهة ثانية يشلهم عن التطور السريع ٠

همـوم هذه الحركـــة

أي ما هي القضايا التي تؤرق أدباءنا الشبان والتي يطرحونها في قصائدهم ؟

من البدء نبادر الى القول بأن ادباءنا الشباب عموما ملتزمون ، وان المتتبع لما ينشرونه هنا وهناك قد لاحظ ارتباطهم الوثيق بالثورة وبمهام المرحلـــة الانتقالية التي تمر بها البلاد نحو مجتمع اشتراكي ينعدم فيه الجوع والظلم والتخلف ٠ لانهم يكتبون عـن الانسان الجزائري الجديـد ، انسان البناء والتشييد ٠ ولو قلنا أن الغزل يكاد يختفي من شعرنا الشاب ، لتبين لنا ـ الى حد ما ـ مدى التحامهم بالثورة ٠ لقد انصهرت ذواتهم الفردانية بالذات الجماعية ٠ ان المرأة فـي قصائدهم تبـدأ امرأة كائنا جميلا ، الا أنها لا تكاد تتشكل للقاريء في شكل الوطن ٠ ان الوطن هو الحبيبة التي يحلم الجميـع باسعادها ، والبذل والعطاء المتواصـل للوصول الى تلك السعادة ٠ اذن يمكننا القول أن الادباء الشباب في الجزائر قد ادركوا المسؤوليـة الملقاة على عاتقهم مثلما أدركها وأداها آباؤهم من قبلهم ٠ لقد أدركوا حق الادراك أن دورهم في هذه المرحلة بالذات التي يمرون بها يتمثل في الالتزام بقضايا التحول الى الاشتراكيـة لفائدة القوى الثورية في البلاد وبفئاتها المختلفة ٠

المشاكل التي تواجه حركة الادباء الشباب في الجزائر

ويمكن حصر أهمها فيما يلي :

١ ـ النشر بأشكاله ٠

٢ ـ انعدام التشجيع المادي والمعنوي ٠

٣ ـ انعدام المناخ الادبـي الطبيعـي (احتكاك الادباء ببعضهم ، الامية ، امية الحرف واللغة ، وامية الفكر) ٠

٤ ـ فقدان الموروث الادبي العربي لسد هذه الثغرة رغم الاستفادة المتواصلـة منه ، ومـن التجارب التي تظهر في العالم ٠ ونفتح هنا قوسين لنقول أن جيل الرواد انتهى دوره من الساحة الادبية ٠ لقد أعطى ما عنده وانتهى ٠

أمل :

ان لنا املا كبيرا في ادبائنا الشباب كما أن لنا أملا كبيرا في نمو حركتهم وريادتهم على المستوى العربي وربما الدولي لانهم يعملون بجد وبصمت ٠ ولان هذه الحركـة تقف الى جانب الحركات الشعرية الشابة في العالـم الثالث التقدمي الطامح الى رسم وجه مشرق ، هو الوجه الحلم ٠ ولان هذه الحركة أيضا أكثر ارتباطا بواقـع التحول الذي يعيشهانسان العالم الثالث ٠

شروط :

أما شروط نجاح هذه الحركة فتتمثل في القضاء على المشاكل التي تعترض سبيـل عملها سيمـا ايجاد مناخ أدبي جديد والقضاء نهائيا على مشاكل النشر ، وخلق علاقة متينة بين اقطاب الثالوث الادبي المقدس (الكتاب القاريء ، الناقد) ٠

دعوة :

من أجـل أن يرقـى الشاعر أينما كان الى مستوى المسؤولية ، ومن أجل أن يعبر عن موقفه بعمـق ثوري ووضوح لا يكون على حساب المستوى الفني للقصيدة ، ومن أجل أن تكون كلمته كالسيف ، وأن يخلق له وزنا معتبرا وحضورا دائما على ساحة تقرير مصير الانسان ومن أجل حركة أدبية عربيـة رائدة ادعو الجميـع الى القراءة ، الى البحث الدائم ، الى التعمق ، أو الى التغرب ان شئنا ، بالاطلاع على الثقافة الانسانية ، فالقراءة هي الوسيلة الوحيدة التي تفتـح أمام الانسان عوامـل المستقبل على مصراعيها ، علينا أن نقرأ كثيرا ، وأن نكتب قليلا ، ان وجودنا هو من أجل أن نقرأ ، ولولا القراءة لصار هذا الوجود عبثا ، كذبة كبرى ٠

محمـد زتيلـي
قسنطينـــة

عن البيان الكويتية

ثلاث قصائد للأطفال

« تحية الى الاطفال في وطني بمناسبة السنة الدولية للطفولة »

ولد الاديب الجزائري يحيى مسعودي عام ١٩٤٢ ب ـ الجلفة ـ ٠٠ وكانت دراسته أثناء الثورة المسلحة أقرب الى علوم اللغة ٠٠ ولما جاء الاستقلال عمل في سلك التعليم ، ثم انقطع عنه ليتابع دراسته بكلية الاداب جامعة الجزائر ـ ويشغل الان منصب مدير اعدادية ـ تكميلية ـ للتعليم المتوسط بالجلفة ٠

وقد اهتم كثيرا بأدب الاطفال ، وقد انقطع فترة عن النشر ثم عاد ٠٠ وانتاجه موزع مابين الشعر والقصة والمسرح ، وله :

١ ـ ديوان شعر للاطفال ـ تحت الطبع ـ
٢ ـ مجموعة مسرحيات للاطفال ـ مخطوط ـ
٣ ـ ديوان شعر ـ مخطوط ـ
٤ ـ مجموعة قصصية ـ مخطوطة ـ
٥ ـ مجموعة محاضرات ـ مخطوطة ـ

شعر : يحيى مسعودي

نسمة الربيع

أحكي لكم حكايـــة
جميلة الروايـــة
قد حدثت ليَ في المساء
كنت بباب الدار
أحكي أنا وجاري
أقلد المدرســا
قلت له لا تلعبوا
اياكم أن تلعبوا
كررتها مرارا
لا تحملوا الالعابا

لا تضربوا الابوابا
لا تقلعوا الثمارا
وبعد بعد مهلة
مرت علينا طفلة
لطيفة ظريفة
فأوقفت كلا منا
وأيقظت أحلامنا
بلمسة خفيفة
وعندما التفتنا
غنت وفارقتنا

فلم نجد لها أثر
فنسمة الربيع
في الموسم البديع
ليس لها أن تستقر
هواؤها الجميل
نسيمها العليل
يناله الجميع
يناله كل البشر
كل البوادي والخضر
والشيخ والرضيع

صديقنا الفلاح

نام بجنب الدار — تحرسه عصاه
فهي التي تحفظه — وهي التي ترعاه
نام بجنب الدار — صديقنا الفلاح
أمامه الاشجار — أغصانها تفاح
وحوله القطيع — ينام في الاعشاب
والحمل الوديع — يسطو على الابواب
والجنة الخضراء — من صنع ساعديه
وغاية الثراء — بيت يأوي اليه
أعجبني الفلاح — لا يعرف الملل
حياته كفاح — ويومه عمل

في عيد الأمهات

أهديتها حبيبتي — في عيد الامهات
أهديت أمي سنة — وسنة ، وسنوات
أهديتها بطاقة — ملأى بالكلمات
يا أمي يا حبيبتي — يا نعمة الحياة
يا أمي يا حبيبتي — يا منحة الاله
يا واحة ظليلة — وجدول المياه
كم نمت يا حبيبتي — بصدرك الحنون
كم كنت قد حملتني — كم كنت تسهرين
اسمك اذ اسمعه — يطربني صداه
تأخذني حروفه — يملكني هواه
فأنت في أنشودتي — أغنية الحياة
وأنت أحلى قصة — تلفظها الشفاه
أهديتها حبيبتي — في عيد الامهات
أهديت أمي سنة — وسنة ، وسنوات

الشعر القطري
اتجاهاته وأعلامه

رئيس التحرير

حين تبدأ الطائرة بالانخفاض تمهيدا للهبوط على ارض قطر ·· هناك بين خطي العرض ٣٠ ـ ٢٤ و٣٤ ـ ٢٦ شمالا وبين خطي الطول ٤٥ ـ ٥٠ و ٤٠ ـ ٥١ شرقي غرينتش من هذا الكوكب تبدأ الصور تشكلها الواضح في العيون وتبدأ الذاكرة تطوافها : رحلتان ·· رحلة للعيون في بحار الرمل المتواثبة في امواج كثبانية هائلة ورحلة للذاكرة في التاريخ تعيده وتبديه ·· تنشره وتطويه · مظاهر العمران تتوضح حدودها وتنجلي تفاصيلها في كتل بيتونية ضخمة هي الاوعية الحقيقية للحضارة المدنية ·· المنشآت الصناعية تتوهج تحت اشعة الشمس وتشمخ ابراجها الحديدية وخزاناتها العملاقة ·· كيانات جبارة تربطها من الخارج علاقات تشكيلية جميلة فيها من التناسق والانسجام ومن التوازي والتضاد ما يسحر اللب ويملأ النفس ثقة وتربطها من الداخل قوانين الحضارة وما فيها من تكامل وتبادل في العلم والعمران والتقنية ·

أما الذاكرة في تطوافها فتلتقي بطرفة بن العبد وبالمثقب العبدي والممزق العبدي والمفضل النكريَ وتلتقي ايضا بعبيد بن وهب التميمي وسلامة بن جندل وعلقمة الفحل ·

··· شعراء عظام تركوا ملامحهم العربية الاصيلة محفورة في ضمير الانسانية في مواقف تتألق فروسية واقداما وتسمو كرما ورواء ·

كل يوم كان عندي جللا
غير يوم الحنو في جنبي قطر

ضربت دوسر فيهم ضربة
اثبتت اوتاد ملك مستقر

اجل انه المثقب العبدي يمدح عمرو بن هند ملك الحيرة ·· ومن هنا ينفتح امام الذاكرة المطوفة باب ايام العرب في الجاهلية ـ يوم ذي قار ـ و ـ يوم قلهات ـ و ـ يوم الصفقة ـ الذي ارتبط بحصن المشقر في البحرين حيث اراد كسرى الفرس أن ينتقم من بني تميم فأرسل لهم رجلا يدعى ـ المكعبر ـ ودبرت مكيدة لقتل من يدخل الحصن لاخذ المئونة بعد سنة عجفاء ، ولكن القوم فطنوا للخدعة فأرخ الشاعر عبيد بن وهب هذا اليوم بقوله :

الا هل اتى قومي على النايَ انني
حميت ذماري يوم باب المشقر

ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة
تفرج منها كل باب مضبر

الا أن رحلة العيون تذهب في المنشآت الصناعية القائمة على اعمال البترول غالبا ٠٠ تذهب بعيدا تتقرى الخيط العملي الذي يربط النفط بقضايا الامة المعاصرة ٠٠ تذهب بعيدا لترى الدور الحضاري الذي تؤديه هذه الثروة على ارض الواقع ولترى الدور الذي يمكن أن تؤديه في المستقبل ٠٠ يبتعد الحلم عن الواقع بل يبتعد الواقع عن الحلم ٠٠ فتحزن القدس ويبح صوت المؤذن في المسجد الاقصى تمسك بأنفاسه غصة فيسيل الاذان حدادا داميا ـ الله اكبر ٠٠ الله اكبر ـ

أما الانسان المتمزق بين رحلتي العيون والذاكرة فتصير عيناه بحيرتين من الدمع الساخن تذرفان في اعماقه ٠

ها ٠٠ التاريخ ينساب في ملحمة خالدة ٠٠ وهي ذي بحار الرمل تشهد حركات المعارضة السياسية في التاريخ الاسلامي ٠٠ الحركات التي استهدفت فصل اطراف الامبراطورية الاسلامية عن جسم الدولة والامة في اعنف حدثين في تاريخ الحركات ٠٠ ـ حركة الزنج ـ و ـ حركة القرامطة ـ ٠

وفي اثناء جيشان الاحداث التاريخية ومن بين الصراعات الدامية التي شهدتها هذه البلاد يطل وجه الشاعر القطري جعونة بن يزيد بن زياد الذي ينتهي نسبه الى بني تميم المعروف (بقطري بن الفجاءة) نسبة الى قطر كما ذكر ـ ابن خلكان ـ وتتردد في انحاء النفس الانسانية اصداء اشعاره عزما وبطولة :

اقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال : ويحك لن تراعي

فانك لو سألت بقاء يوم
على الاجل الذي لك لن تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود بمستطاع ٠٠

ولا ثوب البقاء بثوب عز
فيطوى عن اخي الخنع اليراع

الطائرة كانت تهبط في المطار ورحلتان في كياني كانتا تطرحان عشرات الاسئلة ٠٠ حاولت أن اجمع الاسئلة وأن اكثفها في سؤال واحد وكان لي ذلك :

● **ما هي مسيرة الشعر القطري ومن هم اعلامه ؟ ٠**

انه سؤال من شأن الاجابة عليه أن تكشف عن الحياة الاجتماعية والسياسية التي عاشتها قطر فالشعر كما نعرف ديوان العرب وتاريخهم ٠٠ ولكن ٠ من اين ابدأ في تناول المسيرة الشعرية ؟ ٠٠ ما هي نقاط العلام الاساسية في هذه المسيرة ؟ وتساءلت : الا يمكن أن نعتبر الشاعر (المعاودة) مفصلا حقيقيا في حركة الشعر العربي في قطر في القرنين الاخيرين ونقطة علام واضحة تشير الى نهاية مرحلة في الشعر والى بداية مرحلة اخرى ؟

ان نقاد الادب الاوربيين يقولون : ان (بودلير) قد استطاع ان يقسم الشعر الى شطرين ٠٠ الشعر ما قبل بودلير والشعر ما بعد بودلير ٠

كدت امضي في دراستي للشعر القطري معتبرا (المعاودة) في قطر كما اعتبر النقاد الاوربيون ـ بودليرا ـ في اوربا الا أن كتاب ـ الادب القطري الحديث ـ للدارس الناقد ـ محمد عبد الرحيم قافود ـ جعلني اعدل عن الفكرة فقد اكتشف بحق نقطة علام أكثر وضوحا واعمق تجذرا في حياة الادب القطري بل في حياة قطر بعامة ٠

فقد رأى الدارس ـ القافود ـ أن ظهور النفط هو الذي يقسم الشعر في قطر الى مرحلتين ، شعر ما قبل النفط وشعر ما بعد النفط اذ يقرر أن المرحلة الثانية في الشعر القطري تبدأ باكتشاف النفط عام ١٩٥٠ تقريبا ، وما ترتب على ذلك من تغيرات في مختلف اوجه الحياة في المجتمع القطري ٠ ثم يعلل تأخر ظهور تأثير النفط على الادب نسبيا ٠٠ بالنسبة لمجالات الحياة الاخرى وقطاعات النشاط الانساني المادية ٠ اذ يرى ثمرة هذه الطفرة الاقتصادية في البلاد قد ظهرت اثارها في التعليم وغيرها من الوسائل التي تساعد على تهيئة الجو الفكري والمناخ الادبي ، ولكن ثمرة هذه المنجزات قد تأخرت لفترة طويلة حيث أن النشاط الادبي والفكري ظل في ركود

وجمود حتى بداية السبعينات تقريبا ٠٠ وهذا امر طبيعي لان التغير الفكري والتطور الادبي لا يكون بيوم وليلة ، فمن المعروف أن التطور المادي دائما اسبق من التطور الفكري لان الانسان يتقبل الاشياء المادية بسهولة ويسر بخلاف الاشياء غير المادية كالنواحي الفكرية والعادات والتقاليد والمعتقدات ونحوها فانه من الصعوبة أن يتقبلها الشخص بسهولة ويأخذ بها دون أن يتهيأ الجو والوقت الكافي للتفكير فيها وتمثلها وتقبلها كما أن النواحي الفكرية والثقافية تحتاج الى جهد كبير لتحصيلها واستيعابها وهضمها ، ثم يأتي بعدها دور الخلق والابداع والتكييف بما يتمشى مع روح المجتمع وقيمه ٠٠

حقا لقد اصاب الناقد ــ محمد عبد الرحيم القافود ــ في اكتشافه نقطة تحول الشعر القطري ولكنه اهمل حقيقة على جانب كبير من الاهمية حين علل تأخر ظهور تأثير النفط على الادب بكون الانسان يتقبل الاشياء المادية بسهولة بخلاف الاشياء غير المادية وبكون النواحي الثقافية تحتاج الى جهد كبير لتحصيلها ٠٠٠ لقد أهمل حقيقة أن هناك علاقة سببية تربط التغيرات المادية بالتغيرات الفكرية فمن شأن الانقلاب الاقتصادي دائما أن يقلب البنية الفكرية فالمشكلة في السبق تنحصر في كون النتيجة لا يمكن أن تأتي قبل مسببها لا بسهولة تقبل ما هو مادي وصعوبة تقبل ما هو غير مادي ٠ ان الواقع يصنع ادبه على مثاله فتاريخ الاقتصاد وتاريخ الاجتماع يؤكدان أن العلاقات الاقتصادية هي التي تفرز علاقات اجتماعية تناسبها وعن هذه العلاقات الاجتماعية يصدر كل ما هو ثقافي وفكري ٠

● زمن الشعر القطري :

ان الحدود الجغرافية لدولة قطر لم تأخذ شكلها النهائي بسبب من تناوب الغزاة في احتلالها الا في بداية القرن التاسع عشر فمن الغزو البرتغالي الى الغزو الهولندي الى الغزو الفرنسي الى الغزو العثماني الى الغزو الانكليزي ٠٠

اذ من المعروف لدى المؤرخين قديما أن المنطقة التي تمتد من البصرة شمالا وحتى عمان جنوبا كان يطلق عليها اسم البحرين ٠٠ وقد كانوا يحصرون هذا الاسم بالقسم الشمالي من الخليج العربي احيانا ويسمون القسم الجنوبي الممتد من قطر حتى سير عمان باسم الخط ٠

فالمؤرخ ياقوت الحموي يقول في معجم البلدان :
ــ قطر : موضع في جنوب البطحاء بين البصرة وواسط عرف بهذه النسبة محمد بن الحكم القطري ــ ٠

فقطر كأقليم متميز لم يأخذ حدودا واضحة قديما كما أنه لم يتح له ذلك في العصور الحديثة الا في بداية القرن التاسع عشر ٠٠ هذا الواقع يجعل من الصعوبة بمكان تقصي الشعر قبل القرن التاسع عشر في قطر ثم تحديد الشعراء الذين كانوا يترحلون مع قبائلهم في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية ايهم قطري وايهم غير قطري ٠٠ لذا كان لا بد من تقسيم زمن الشعر في قطر على النحو التالي :

الزمن الاول : من عام ١٨٠٠ م ــ ١٩٥٠ م
الزمن الثاني : من عام ١٩٥٠ م ــ ١٩٧٩ م

الزمن الاول :

ان اول ما يطالعنا من نتاج الزمن الاول ديوان الشاعر ــ عبد الجليل الطباطبائي ــ وهو عراقي المولد ولكنه مكث طويلا في ــ الزبادة ــ وظهرت الحوادث السياسية والمحلية في قصائده ثم غادرها عام ١٨١٠ م بعد خرابها ٠

وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر الشاعر ــ ماجد بن صالح الخليفي ــ وهو احد الشعراء الذين نظموا بالفصحى والعامية ولكنه لم يعمر طويلا بين ١٨٧٣ ــ ١٩٠٧ وقد كان انتاجه محدودا وفي نفس الفترة وفد على قطر الشاعر النجدي الكبير ــ محمد بن عثيمين ــ الذي لازم حكامها فترة طويلة وسخر شعره لمدحهم كما أنه خاض بعض المعارك مع القطريين ضد اعدائهم وجاءت بعض قصائده مصورة لهذه الحوادث ٠٠ وممن تتلمذ على ــ ابن عثيمين ــ وتأثر به في قطر الشاعر القطري ــ احمد بن يوسف الجابر ــ الذي يعتبر مخضرما بالنسبة لتقسيمنا لزمن الشعر فقد عايش هذا الشاعر المرحلتين واكثر انتاجه في الزمن الثاني ٠

ومن شعراء الزمن الاول ايضا ـ محمد بن حسن المرزوقي ـ الشاعر الهجاء الذي كان ينتصر للقطريين وللوهابيين على اعدائهم ٠

الزمن الثاني :

كان هذا الزمن زمن ركود وجمود في الناحية الفكرية والادبية بالنسبة للاقلام المحلية ولكنه كان زمن نشاط للوافدين المتكسبين بالشعر حيث اصبحت ـ الدوحة ـ وكأنها عاصمة بني امية ـ كما يقول الناقد القافود ـ من حيث تسابق الشعراء اليها وكيلهم المديح لحكامها ٠٠ فقد كان الشيخ علي بن عبد الله حاكم قطر انذاك ، اي في الخمسينات ، محبا للادب ولوعا بالشعر متطلعا للمدح والثناء فتوافد عليه الشعراء من مختلف الاقطار العربية يكيلون له المدح والثناء في مقابل الاعطيات التي كان يغدقها عليهم ، كما كانت تطبع في دواوين هؤلاء الشعراء على حساب الدولة وتوزع بالمجان ٠٠

ومن ايجابيات هذه الحركة الشعرية الوافدة انها شاركت في ايقاظ الوعي الشعري عند ابناء البلاد ٠

الى جانب الحركة الشعرية الوافدة تألق شاعران من شعراء قطر في هذه المرحلة هما ـ عبد الرحمن المعاودة ـ و ـ احمد بن يوسف الجبار ـ ٠

وفي بداية السبعينات مع شيوع وسائل النشر كالصحافة والاذاعة وغيرها من الوسائل الاعلامية اخذت الحركة الادبية في النمو والظهور ، حيث بدأت تنشر على صفحات هذه المجلات بعض القصائد فتعرفنا على ـ فتاة الخليج ـ وقرأنا للشاعر ـ مبارك بن سيف ـ على صفحات مجلة ـ الدوحة ـ ٠

● اتجاهات الشعر القطري

ان الاتجاهات التي مثلها الشعر القطري في القرنين الاخيرين لا تعدو ثلاثة اتجاهات

١ ـ الاتجاه التقليدي
٢ ـ الاتجاه الكلاسيكي المحدث
٣ ـ الاتجاه الحديث ٠

فما هي ميزات كل اتجاه ؟ ٠٠ وما هي ابرز الموضوعات التي عالجها ؟

وما هي النماذج الاكثر تعبيرا عن كل اتجاه من الاتجاهات الثلاثة ٠ ؟

١ ـ الاتجاه التقليدي :

ساد هذا الاتجاه في الزمن الاول للشعر حسب تقسيمنا وامتد الى الزمن الثاني ٠

ففي حين اخذ شعراء العالم العربي منذ اواخر القرن التاسع عشر يطرقون العديد من الموضوعات ذات الصلة المباشرة بالمجتمع ويخوضون غمار القضايا المحلية ويحملون الهموم القومية للامة العربية حيث عالجوا مشكلة حرية المرأة وتناولوا المظالم الاجتماعية بالشجب والتنديد واعلنوا حربهم المريرة ضد الفقر والجهل وغيرها من الموضوعات ٠

نجد أن الشعر في قطر كان ابعد ما يكون عن هذه المشاكل ٠٠ فشعراء عصر النهضة في مصر وسورية والعراق لم يكن لهم صدى يذكر في شعر قطر ٠٠ بل كانت للشعر القطري همومه الخاصة وكانت له اغراضه التي شغلته عما سواها ، تلك الاغراض التي لاكتها اشعار عصر الانحدار ثم لفظتها ٠٠ اغراض ليست جديرة بالوقوف عندها في زمن بدأت فيه الحياة الجديدة تدب في مفاصل الامة العربية وبدأت فيه الاقطار المجاورة معارك التحرير من ظلام القرون التي رانت على ربوعها ٠

في الحقيقة ٠ ان اغراض الشعر القطري في الزمن الاول لم تتعد المديح والرثاء والغزل الا الى بعض قصائد الفخر وبعض الابيات التي تعنى بالالغاز والاحاجي ٠

، ـ المديح :

انه الفن الغالب في الشعر القطري ٠ ولعل كثرة شعر المديح تعود في هذه المنطقة الى وجود النظام القبلي والعشائري القديم الذي يتمثل في الحاكم وما يرجى منه من كرم ورعاية يشمل بها افراد قبيلته ومجاوريه

والطارقين بابه اولا وتعود ثانيا الى ولع هؤلاء الحكام بالمديح وحبهم للثناء وثالثا تعود الى حاجة الشعراء المادحين الى المال الذي جعلهم يتكسبون بأشعارهم ·· هذا الكلام على العموم لا على التخصيص اذ وجد شعراء كانوا بعيدين عن الاستجداء وطلب العطاء وكان اغلب مدحهم لصديق او قريب واذا تجاوز الى امير فانما تكون قصائده فيه عن قناعة وصدق ·· وان اول قصيدة في المديح وصلتنا هي قصيدة ـ الطباطبائي ـ عام ١٨٠٩ عندما دخلت القوات الوهابية ـ زبارة ـ ·· وعلى ما يرويه كاتب مقدمة ديوان الطباطبائي فان الشاعر قد نظم القصيدة خوفا من القائد السعودي ·

ولا بأس هنا من استعراض بعض مقاطعها والتعليق عليها :

يقول الشاعر الطباطبائي في معرض مدح محمد بن عبد الوهاب وحركته الاصلاحية :

لقد قام يدعو للمهيمن وحده
فريدا طريدا ماله من مسالم
وجاهد للرحمن حق جهاده
وفي الله لم تأخذه لومة لائم
همام بدا والناس الا اقلهم
على محض شرك في العبادة لاجم
يعدون للضراء قبة ميت
كما طلبوا منها نتاج العقائم
فهم بين موم بالركوع لسيد
وآخر يعنو وجهه للبهائم
ومن بين داع هاتف باسم شيخه
يروم به نفعا ودفع العظائم

ثم يتطرق الى مدح عبد العزيز بن سعود فيقول :

ووال الرضى عبد العزيز الذي احتمت
به بيضة الاسلام عن كل ظالم
امام كسا ظهر البسيطة عدله
مطارف امن شاملات المعالم
حليف التقى والعلم والفضل والندى
ويأبى المعالي بالقنا والصوارم
تساوى لديه ذو الغنى وابن فاقة
لدى الحق او حال المليك وخادم

ثم يقول :

امام الهدى بحر الندى من سقى العدا
كؤوس الردى حتى اهتدى كل راغم
أخو همة يستصغر الخطب عندها
وتعلو على هام السهى والنعائم
له عزمات تتقي الاسد بأسها
بها الله عنا زاح هول العظائم
اذا رمت علما فهو كالغيث للورى
اذا أخلفت ايدي السحاب الرواكم

التعليق :

١ ـ الطباطبائي لم يضف جديد الى الشعر بأوصافه التي استخدمها :

فالممدوح بحر ، وامام ، ويسقي كؤوس الردى ، وهمته تعلو على هام السهى ، وله عزمات تتقي الاسد بأسها ، وهو كالغيث ···· الخ ·

٢ ـ الطباطبائي لم يضف جديدا في المعاني التي قدمها :

فالممدوح همام ، ويستصغر الخطب ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ··· الخ · وهذه كلها من المعاني التي ترددت كثيرا في الشعر العربي بتركيبات فنية من حيث اللغة والصورة أفضل مما أتى بها الشاعر ·

٣ ـ المبالغة في وصف الممدوح ، حتى وصل الشاعر الى درجة كدنا نظن أنه يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ·

٤ ـ المبالغة ـ سلبا ـ حيث جعل الناس قبل الممدوح في شرك وفي عبادة البهائم ·

٥ ـ الطباطبائي يتمادى في غفلته وجهله فيهجي قومه شر هجاء ٠٠

فلنصدق ما قاله صاحب مقدمة ديوانه عن أن هذه القصيدة كتبت خوفا ولكن لماذا يهجي الشاعر قومه ؟ ٠

واذا كان الممدوح طلب منه قصيدة في مدحه ٠٠ فهل من مبرر للتعريض بالاهل وهجائهم ٠ ؟ وهل هذا مما يرضي الممدوح ويكسب الشاعر منزلة خاصة في نفس الممدوح ؟

كلا ٠٠ والف كلا فان الطباطبائي لم يبرهن في هذه الفعلة الا على غفلته وجهله ٠ اذ ٠٠ ما الذي دعاه لان يقول :

الست ترى ما كان من سوء فعلنا
من الصد والاعراض عن خير حاكم

وتفصيل امر قد جنيناه واضح
شهير فأغنى عن اعادة ناظم

٦ ـ كان التكلفواضحا فيالقصيدة ٠٠ فشخصية الممدوح وشخصية الشاعر غائبتان اذ يمكن أن تكون هذه القصيدة لاي شاعر من عصر الانحدار يمدح بها أي امير عربي وقد جرى بقية شعراء هذه الفترة على خطا الطباطبائي فقدموا قصائد شبيهة لتلك التي علقنا عليها ٠٠ فالشاعر ماجد بن صالح الخليفي لا يمتاز بشيء على الطباطبائي في قصائده سوى أنه يتمسك كثيرا بالعمود الشعري ويسلك مسلك القدماء من حيث النهج العام فيبدأ قصيدته بالغزل ويسترسل في وصف الحبيبة وما يقاسيه من شوق وحرقة ثم يخلص الى الغرض الرئيسي الذي هو المدح ٠ كما أنه كثير الاخطاء اللغوية والنحوية ٠٠ والذي يطلع على قصيدته في مدح ـ حمود ال خليفة ـ من امراء البحرين يلمس هذه الملاحظات واضحة اشد الوضوح ٠

واذا كان لا بد من تقرير من هو اشهر شعراء المديح في هذه المرحلة ٠٠ فالشاعر ـ ابن عثيمين ـ هو افضلهم بحق ٠٠ فعلى الرغم من الروح التقليدية التي سيطرت على اشعاره الا أن قوة معانيه وجزالة اسلوبه وغزارة انتاجه ومعاشرته للكثير من حكام المنطقة وملازمته لهم جعله يحوز في هذا الفن قصبة السبق ٠

يقول ـ ابن عثيمين ـ في مدح الشيخ عبد الله بن قاسم :

نعم هذه اطلال سلمى فسلم
وارخي بها سيل الشؤون واسجم
وقف في مغانيها وعفر بتربها
صحيفة حر الوجه قبل التندم
فقلت لها مهلا فان تقلقلي
الى كعبة يهوى لها كل معدم
مناسك حج قد اقيمت فروضها
خلا أن من يسعى بها غير محرم

ب ـ الرثاء :

ان الخيط الذي يربط المدح بالرثاء قوي جدا ٠٠ ولذا كان لابد من أن يشترك المدح والرثاء بخصائص فنية شكلية ومضمونية ٠٠ هذا يجعلنا نكتفي بعرض نموذجين من شعر الرثاء دون التعليق عليهما ٠

يقول الشاعر عبد الرحمن بن درهم في رثاء صديقه عبد الله بن خاطر :

أعيني جودا بالدموع السواكب
فان بكاء الالف أعظم واجب
ولا تبخلا بالدمع لو كان من دم
على طاهر الاخلاق عف المذاهب
فلست بباك بعده فقد هالك
ولا جزع من حادثات النوائب
الى الله أشكو ما دهى من مصيبة
ونازلة من موجعات المصائب
مصيبة خل أورث القلب فقده
لهيب جوى بين الحشا والترائب

ثم يمضي الشاعر في تبيين مكانة الصديق ومدى ما تركه فقد مفي حياة الشاعر من أثر بالغ ٠

بلوت بني الايام طرا فلم أجد
صديقا سواه مسعدا في النوائب
فأصفيته في الوداد فلم يشب
صفاء ودادي بالقذى والشوائب
فأصبحت موتورا أعزى لفقده
أعلل نفسي بالاماني الكواذب
لئن ذهبت أيامه الغر وانقضت
فما الحزن من قلبي عليه بذاهب
خليلي ما ذاك الهمام بعائد
علينا ولا ذاك الغمام بساكب
فما أوحش الدنيا علي وأهلها
غداة ثوى في الترب بدر الغياهب

ومن قصيدة للشاعر (ابن عثيمين) في رثاء الشيخ قاسم بن ثاني نعرض الابيات التالية :

هو الدهر يستدعي الفناء بقاؤه
وتستصغر الخطب العظيم مصائبه
له عثرة بالمرء لا يستقيلها
اذا ما أنيخت للرحيل - ركائبه
أباح حمى كسرى بن ساسان صرفه
فلم تستطع عنه الدفاع مرازبه
وكر على أبناء جفنه كرة
سقاهم بها كأسا ذعافا مشاربه
وأعظم من هذا وذاك مصيبة
قضى النحب فيها المصطفى وأقاربه
هم الاسوة العظمى لمن ذاق غصة
من الدهر أو من أجرضته نوائبه

ومن الشعراء الذين كتبوا في الرثاء محمد حسن المرزوقي وأحمد يوسف جابر وماجد الخليفي وغيرهم ·

جـ - الغزل :

لم يأت شعر الغزل مقصودا لذاته في قصائد شعراء قطر الا نادرا فهو غالبا ما يأتي في مقدمات القصائد ، فالقصائد الغزلية المستقلة قليلة وخاصة ما كان منها باللغة الفصحى ، أما قصائد الغزل بالعامية فهي كثيرة ، أما بالنسبة للقصائد الفصيحة التي انفردت بالغزل لذاته فهي قصائد قليلة لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة حملها لنا ديوان الشاعر ماجد بن صالح الخليفي ·

ان ضمور شعر الغزل القطري يعود لاسباب كثيرة أهمها أن البيئة القطرية بيئة دينية محافظة وان الشعراء القطريين قد ترفعوا عن هذا اللون من الشعر ، هذا أولا ، كما أن الشعر الغزلي بابعاده الذاتية كان لا يخول الشاعر حق التكسب به لذا هجر شعر الغزل الى شعر اكثر مردودا بالتعبير الكمي ، هذا ثانيا ·

ولنتلمس ملامح شعر الغزل القطري لابأس من أخذ مقطوعة غزلية وتحليلها : يقول الخليفي في احدى غزلياته :

وجه المليحة ذاك أم بدر السما
وذوائب أم تلك لَيل اظلما ؟
أم ذاك برق قد أنار الافق من
لألائه أم ثغرها متبسما
انسية أم هذه حورية
ملأ البسيطة نورها فتقسما
حتى الغزالة اشرقت من نورها
والبدر ضاء بنورها والانجما
لكنها محجوبة بكتائب
ونجائب يحملن اسدا غشما
عجبا لقلبي يالها من جسرة
في خيمة فيها الاعادي جثما
في ليلة قد غيهبت وتجلببت
بظلامها وسماؤها قد غيما
فاجأتها فتنبهت في دهشة
وتزفرت لما رأتني قائما
قالت ألا ليت المحبة لم تكن
اذ جئتني والناس حوله نوما

أرخصت نفسك في الهوى وتركتنا
غرضا لقول الحاسدين اللوما

التحليل :

١ ـ المقطوعة بصورها وأفكارها مقتبسة من القديم ٠٠ ان البيت الثاني يذكرنا بالشاعر (ابن الغارض) حين يقول :

أبرق بدا من جانب الغور لامع
أم انكشفت عن وجه ليلى البراقع ؟

والتشابيه المستخدمة في القصيدة كلها من التشبيهات القديمة ايضا فالحبيبة وجهها بدر السما ، وذوائبها ليل مظلم ، ولألاء ثغرها البرق ، وهي تضيء الدنيا بنورها ٠

٢ ـ الحدث في الابيات الذي يوحي بقصة لقاء عشقية يبدو متكلفا وخاليا من أي بعد درامي ٠٠ اذ هو يرفع حرارة الابيات بالحدث الذي يوحي بلقاء الحبيبين ثم ينهي الحادثة بحكم لا تصدر الا عن حكيم يزن الامور ويتحاشى العواقب وأبعد ما يكون عن روح الحب والعشق ٠

وأين هذه القصة المتكلفة من قصة عمر بن أبي ربيعة في قصيدته التي مطلعها ٠

أمن ال نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر

٣ ـ المحبوبة محروسة بالعسكر ، ومطوقة بالخدم والوصيفات وأنى للشاعر أن يصل اليها انها العدوى الشعورية تنسرب من اشعار القدماء فتتلبس الشاعر فاذا به يحس بما احسوا ويغامر كما غامروا ٠

أما اذا انتقلنا الى الغزل عند (ابن عثيمين) فاننا لانجد قصائد غزل مستقلة بل مطالع قصائد فيها غزل وتشبيب ٠٠ وابن عثيمين يمتاز على غيره في حسن الصياغة وجزالة الاسلوب وقوة التركيب وسلامة البناء ولكنه تقليدي ايضا الى درجة استعارة اسماء محبوباته من دواوين القدماء ٠٠ وهو على الرغم من الاوصاف الحسية التي تشيع في شعره فقد كان بعيدا عن التهتك والمجون واقرب الى العذرية والعفة ٠٠

ومن شعره في الغزل :

وقفت على دار لمية غيرت
معالمها هوج الرياح النواسف
فأسبلت العينان دمعا كأنه
جمان وهي من سلكه مترادف
أسائلها عن فرط ما بي وانني
بعجمة احجار الديار لعارف
لعهدي بها بيض أوانس كالدمى
غرائر عما لا يحل صوادف
اذا ما سحبن الاتحمى تمايلت
غصون النقا مالت بهن الروادف

٢ ـ الاتجاه الكلاسيكي المحدث :

وما الشعر الا ترجمان مشاعر
به كل خاف من جوانحنا يبدو

انه الشاعر (المعاودة) الذي اشرنا اليه في بداية الدراسة وقلنا اننا نرى فيه نقطة علام مميزة في الشعر القطري ٠٠ انه يمثل انطلاقه الكلاسيكية المحدثة ٠٠ فالشاعر المعاودة ليس شاعرا اسيرا للمديح والرثاء بل هو شاعر منخرط في الاحداث متفاعل معها ويحمل هموما تجاوز حدود نفسه وحدود قطر ٠٠ انه يحمل هموما عربية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ٠

ويؤكد (محمد عبد الرحيم كافود) أن المعاودة في ثورته على الواقع وما هو عليه من تخلف في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا يتوقف ذلك عنده في حدود وطنه وبيئته بل يتعداه الى أفق ارحب حتى يشمل الوضع العربي بصفة عامة فتظهر عنده تلك الروح الوطنية والقومية الثائرة على الواقع المرير الذي يعيشه في الوطن العربي ، وما فيه من تخلف سياسي واجتماعي واقتصادي ثم ما فيه من قلاقل وتناحر على السلطة وخلافات بين الساسة والحكام ٠

والدارس لشعر (المعاودة) الذي يمثل برأينا انطلاقة الاتجاه الكلاسيكي المحدث يلاحظ ما يلي :

١ ـ انطلق الشاعر المعاودة الى موضوعات جديدة لم يتطرق اليها الشعر القطري قبله فهو يهاجم الجامعة العربية في قصيدة ، ويندد بالسياسة العربية في قصيدة ويعرض التقدم الصناعي الاوربي وابعاده في قصيدة اخرى ٠

٢ ـ زالت الغرابة اللغوية سواء في استخدام المفردة او التركيب الشعري في شعر (المعاودة) فهو سلس الشعر واضح التركيب وأقرب الى الحياة منه الى الكتب ودواوين القدماء ٠

٣ ـ لم تعرف قصائد (المعاودة) وحدة الموضوع ولكنها عرفت وحدة المقطع فاذا كان الشاعر مطوفا على مواضيع كثيرة في قصيدته فهذا لا يمنعه من أن يسلسل افكاره حتى تعود القصيدة مجموعة من المقاطع المنسجمة التي يشكل كل منها قصيدة بذاته ٠

ومن قصائد (المعاودة) الرائعة قصيدته التي نظمها في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ حيث يقول فيها :

أجل بعد لأي في الربى طلع الفجر
ومن بعد يأس قاتل اشرق النصر

و (فانتوم) امريكا تهاوى كانها
جراد له ريح مجلجلة تذرو

ومن اوجه الاعداء غاصت دماؤها
وشاهت فبان الزيف وانكشف الستر

ونادى منادي العرب للثار فانبرت
أسود لها في كل ملحمة زأر

وسارت على التكبير في كل جانب
جيوش على راياتها جثم الفخر

الى المسجد الاقصى تسير كانها
ملائكة الرحمن تزهو بها بدر

٣ ـ الاتجاه الحديث :

ان الحياة الجديدة التي بدأت تحياها قطر منذ عام ١٩٥٠ كان لها أثر بارز في الحياة الثقافية الادبية في قطر نتيجة لظهور التعليم الحديث ، والصحافة وغيرها من الوسائل الاعلامية وما تبعه من اتصال ثقافي بالعالم الخارجي ٠ وقد تكونت ثقافة الجيل الجديد من هذه الثقافة الحديثة التي حملت اليه مختلف المذاهب الفكرية و الادبية وكان نتيجتها أن تأثر الشباب بهذه المذاهب وراحوا يكتبون شعرهم بأساليب جديدة لم تعهدها المدرسة التقليدية ٠

ومن شعراء هذا الاتجاه الحديث في قطر الشاعر (مبارك بن سيف) ولا بأس من اخذ قصيدته ـ سفن الغوص البائسة ـ نستعرض بعض مقاطعها ونبدي مميزات هذا الاتجاه من خلالها ٠

« ايه ياماء الخليج
كم شربنا ماءك المالح
في لهب السموم
وسمعنا اهة النهام أعيتها
جبال من هموم
وتراءت للعيون الغائرات
خلف مائك الازرق
دمع البائسات ٠
عند شط قد تركناه شهورا
عند شط قد تركنا فيه أحبابا
وحطمنا الجسورا
ايه يا ماء الخليج
كم عيون مزقتها الشمس
وأضناها السهاد »

ثم يصور الشاعر المآسي التي يلاقيها الغواصة وهم يبحثون عن اللؤلؤ اذ قد يكون اللؤلؤ كالكمين المنصوب الذي يصيد صياده ٠

« ايه ياماء الخليج
كم جميل انت من خلف الشطوط
انك الحذر الذي يحجب في الاستار
الاف المآسي
ظالم أنت وجبار وغدار وقاسي
تزرع اللؤلؤ في الاعماق
كالصيد الدفين
وهي لا تعدو سرابا وكمين
وترى الغواص منهوك القوى
يقتفي اثار دره
قد يلاقيها اذا طال عناؤه
قد يلاقيها ويمسكها ويفرح
وتكون المسكة الاولى له اخر مرة »

نلاحظ في المقاطع المدروسة من قصيدة ـ سفن الغوص البائسة ـ

١ ـ ان المعاني مصبوبة بتعبيرات مباشرة بعيدة عن لغة الايحاء التي تعوض عن الصور الفنية وترتفع عن لغة النثر لذا جاءت المعاني كالثمار المجففة فاقدة قدرا كبيرا جدا من الحياة لان الشاعر لم يحاول أن يدمج مشاعره وأحاسيسه بأفكاره ومضامينه ٠

٢ ـ المعالجة فاترة اشبه ما تكون بحديث عادي ٠

٣ ـ لم يلتزم الشاعر بتفعيلة واحدة في القصيدة بل لجأ الى الجملة النثرية في مواضع كثيرة جدا ٠

٤ ـ الجملة الشعرية مفرغة من شحنتها نتيجة لاتباع اسلوب السرد ٠

والدارس (محمد عبد الرحيم القافود) حين يدرس القصيدة الحديثة يستعرض نماذج كثيرة كقصيدة ـ الليل والضفاف ـ لمبارك بن سيف وقصيدة للشاعرة ـ بنت الخليج ـ وقصيدة ـ الليل فارس ابيض ـ لعبد الرحمن المناعي ويخلص الى أن الشعر في هذه الفترة وعند جيل الشباب المعاصر لا تكاد تتبلور ملامحه بصورة واضحة حيث أنه لا يزال في طور النمو وبداية الطريق ومن الصعوبة أن نحدد الاتجاهات ٠

كما أن هذا النتاج الى جانب عدم النضج الفني الكامل فيه وعدم وضوح التجربة واكتمالها كذلك هو نتاج ضئيل من حيث الكم لذلك فهو نتاج محدود كما وكيفا ٠٠

والدارس (القافود) يوجه تهمة الرومانسية لكل النماذج التي درسها من شعر الاتجاه الحديث ويقول : « انني أرى أن النزعة الرومانسية هي الطابع الغالب على نتاج هذه المرحلة حتى الان وذلك يعود لسببين رئيسين تقريبا اولهما هذه النقلة المفاجئة التي شهدها المجتمع على أثر ذلك التغير الاقتصادي الكبير الذي غير الكثير من القيم والمفاهيم ٠٠ والسبب الثاني أن الادب العربي الحديث تغلب عليه النزعة الرومانسية وحتى فترة قريبة ، وظهرت مدارس اصلت لهذا الاتجاه ـ كمدرسة الديوان ـ و ـ جماعة ابولو ـ وتأثر هؤلاء الشباب بهذا الاتجاه » ٠

الا أننا نرى برمي الشعر الحديث كله في قطر بتهمة الرومنسية شيئا من التزيد ٠٠ ونود لو نذكر الصديق الدارس (القافود) بكتاب الرومانسية Romanticism للناقد الحديث ـ لاسل ابركرومبي ـ Abercrombie - La,Scelle حين يؤكد :«أن الصبغة هي عنصر يدخل في صياغة الشعر بدرجات متفاوتة وباستطاعتنا أن نؤكد أن ليس هناك من شاعر عظيم ما لم يحتو شعره على صبغة رومانسية وليس معنى احتواء شعر شاعر من الشعراء على صبغة رومانسية أن هذا الشاعر أصبح بالضرورة رومانسيا » ٠

ويقول أيضا : (ان الرومانسية ليست مقصورة على زمن معين أو ثقافة معينة ٠ كما أنها ليست اسلوبا معينا فليس استخدام الالفاظ القديمة أو الالفاظ المستحدثة بدليل على أن الاسلوب اسلوب رومانسي ٠ تماما كما أن الثورة على الاسلوب التقليدي ليست في حد ذاتها حركة رومانسية)٠

حقا ان كلام الناقد ـ لاسل ابركرومبي ـ جدير بالاهتمام اذ أنه يجنب الدارس امكانية الخلط بين نتاج

الرومانسية ونتاج غيرها من شعر المدارس الاخرى ٠

فالشعر الرومانسي هو الذي يطرح في مضمونه موقفين :

أولا : الشعر الرومانسي يطرح الطبيعة كبديل عن الواقع الاجتماعي ٠

ثانيا : الشعر الرومانسي يرى في ـ العقل ـ سببا من اسباب الشقاء ويلقبه ـ بالداعر ـ فالشعر الرومانسي ضد العقل ٠

أما ما يتخايل في الشعر من سوداوية في التفكير وتغن بالطبيعة وسرد للآلام الانسانية فليس سوى صبغات رومانسية تصبغ صور الشعر الرومانسي وقد توجد في شعر المدارس الاخرى ٠

كانت هذه عجالة حاولت فيها أن اعرض لاهم شعراء قطر ولاتجاهاتهم ٠٠

شعراء قطر الذين لا يعرف عنهم المثقف العربي في سورية أو في أي قطر اخر الا القليل القليل ٠

وفي نهاية هذه الدراسة لابد من التنويه بأن كتاب (الادب القطري الحديث) للدارس ـ محمد عبد الرحيم قافود ـ هو الراصد الحقيقي لحركة الشعر في قطر حتى الان والمكتبة العربية بدونه تكون ناقصة ومفتقرة لمرجع هام عن الشعر القطري ٠

مراجع البحث

(١) « قطر ٠٠ ما ضيها وحاضرها » لمصطفى الدباغ

(٢) « ثورة الشعر الحديث » د ٠ عبد الغفار مكاوي

(٣) « الادب القطري الحديث » محمد عبد الرحيم قافود

(٤) Romantlclsm La Scelle Abercrombie

(٥) النقد الادبي الحديث د ٠ محمد غيمي هلال ٠

مختارات

الى اللغة العربية — **من شعر : ابراهيم أبو اليقظان**

بشراك يالغة العروبة لم يكن ... من بعد هذا للقيود قرار
فلانت صاحبة البلاد ، وان هم ... لحقتك منهم بيننا أضرار
فلينطلق ذاك المقيد اذ بدا ... فجر السلامة وانتهت أكدار

يخاطب وطنه :

ألا فليعلم الاضداد أنا ... نريد لشعبنا حقا مشاعا
فان سلما فنحن لذاك أهل ... وان ضدا فان له باعا
فان لنا من الحق العزيز ... سلاحا فاتكا لن يستطاعا
فثق يا أيها الوطن المفدى ... بأن لك الضمائر لن تباعا

وطني الجريح

شعر : حسن بوساحة

أنين الخيام يهز الدروب
ونوح الصغار يفيض القلوب
وألف حصار
بأرض الدمار
يذيق الهموم جموع الانام
ربانا تنوح ·· تئن عذابا
ونفسي الطموح تذوب اكتئابا
وشعبي يقاتل
يصد القنابل

وصهيون داسوا ·· تراب بلادي ··
ولبنان قلبي يعيش حدادي ··
وسادات مصر بكف اللئام
يعلي الطغاة ·· عبيد الظلام ··
فلسطين أهلي وشعبي الجريح ··
فلسطين أرضي ·· وحقي الذبيح
فشلوا الحروف
وهدوا الكلام
وخلوا السلام ـ لاهل السلام ؟ !! ـ
وصونوا الوليد
وابكوا الشهيد
وحيوا الرجال قبيل الرحيل
وهدوا العذاب بوقع العويل
فلا الدمع دمع وراء الحدود
ولا الصوت صوت ·· بدون الحديد ·
فهاكم نشيدي ·· ولا تعزفوه
وهاكم قصيدي ·· خذوا ·· احرقوه
فياليت شعري وباء مريع
وداء شنيع

يهز القلاع ·· حصون العدى
يهد السكون ·· ويذوي الردى ··
وياليت حرفي رصاص عجيب
وطلق غريب

لاهديه كل جريء مناضل
لاهديه شعبي الابي المقاتل·

حسن بوساحة
سوق أهراس
(الجزائر)

ثعالب وعرب

الدكتور أبو العيد دودو غني عن التعريف .. فهو من الرواد في كتابة القصة أو المسرحية الجزائرية باللغة الوطنية .. اضافة الى كونه الى كونه قد ترجم العديد من المسرحيات العالمية الى اللغة العربية ..

كما أنه اهتم بالنقد والدراسة الادبية .. وصدر له مجموعة من الكتب التي تهم الاديب والدارس .. وقصة – ثعالب وعرب – تعتز الثقافة بنشرها لما لها من ارتباط بواقعنا الذي نعيش فيه وأملنا في تحرير فلسطين والاراضي المحتلة ..

قصة بقلم : فرانتس كافكا

ترجمة وتقديم : الدكتور أبو العيد دودو

لم يعد اليوم هناك شك في انتماء الاديب التشكيلي – الالماني لغة – فرانتس كافكا (١٨٨٣–١٩٢٤) الى الحركة الصهيونية في المانيا ، فبعد أن كشف غوستاف يانوشي في كتابه « احاديث مع كافكا » عن تعاطفه مع الحركة اليهودية ، انطلاقا من يهوديته نشر روبيرت كاوف رسالتين لكافكا ، يتبين منهما اتصاله بدعاتها وحرصه على المشاركة في الدعاية لها بكتاباته .

والرسالتان موجهتان الى مارتين بوبر ، صاحب مجلة « اليهودي » التي كانت تهتم بدراسة القضايا اليهودية أكثر من اهتمامها بنشر الانتاج الادبي ، وكانت تتجه الى القراء اليهود بالدرجة الاولى ، ويبدو أن بوبر كان قد اتصل بكافكا وطلب منه أن يشارك في مجلته ، ومن ثم فان الرسالة الاولى وهي بتاريخ ١٢ ابريل ١٩١٧ ، تتضمن اجابة كافكا ، وفيها يخبره بأنه قد وجه اليه اثنتي عشرة قصة وأن هناك اثنتين اخريين ارسلتا قبل ذلك الى مجلة « مارسياس » ، الا أنه مستعد لسحبهما وارسالهما اليه ان وقع اختياره عليهما .

وهذا يعني كما يقول روبيرت كاوف ، أن كافكا كان مستعدا للتخلي عن مجلة « مارسياس » مع أن هذه المجلة كانت تنشر اسمه بين كتاب أكثر شهرة منه أمثال كاروسا ودوبلين ، وهوفمنستال ، وشتيرنهايم ، وغيرهم ، وذلك كله رغبة منه في الكتابة لمجلة « اليهودي » وحدها ، ان وجه له صاحبها طلبا من هذا النوع .

أما الرسالة الثانية فهي بتاريخ ١٢ مارس سنة ١٩١٧ وقد جاء فيها : « لك شكري على رسالتك اللطيفة ، هكذا اذن اشارك في « اليهودي » مع اني كنت أعتبر ذلك مستحيلا ، وأرجو الا تطلق على القصتين اسم (مثلان) فهما في الحقيقة مثلين ، واذا كان لابد من عنوان عام فليكن (حكايتان) .

وكان بوبر قد اختار قصتين ، احداهما قصة (ثعالب وعرب) وقد نشرت القصتان في عدد اكتوبر من مجلة « اليهودي » سنة ١٩١٧ .

وهذه القصة التي أقدم على ترجمتها كاملة للقراء ، تعبر عن رأي المؤلف في المشكلة التي كانت قائمة في وقته الا أن مضمونها ينسحب على الحاضر والمستقبل أيضا ،

والقصة في اعتقادي واضحة كل الوضوح بحيث لا تحتاج الى أي نوع من التفسير ، ومع ذلك أحب أن أشير الى مايلي : ان راوي القصة رجل اوروبي ، أما الثعلب العجوز وهناك دائما ثعلب عجوز ـ فهو شرقي ، لا يخفي كرهه الازلي للعرب ، ويتغذى بالجيف ، ولكنه في الوقت نفسه يشمئز من قتل العرب للحيوانات ، فطبيعته تأبى عليه القتل ! وهذا الوضع يضطره للبحث عن حليف ولا يخشى رؤية دم الحيوانات التي يقتلها العرب ، وهناك طبعا رواية قديمة تقول ان هذا الحليف لا يمكن الا أن يكون اوربيا فيقدمه له الثعلب مقصا صدئة ، ليقطع بها رقاب العرب ، ولكن ظهور المقص يقتضي ظهور السوط العربي الذي يصفر في الهواء ويلهب أجساد الثعالب ، التي التفتت حول الجمل الميت تنهش لحمه وتمتص وريده ٠

لا أريد أن أفرض على القارىء فهما معينا للقصة ولكني على يقين من أنه سيجد فيها عدة جوانبتسترعي انتباهه ٠

● ★ ●

خيمنا في الواحة ، وكان الرفاق قد ناموا حين مر بي عربي طويل القامة ، ابيض البشرة ، وكان قد اهتم بأمر الجمال قبل أن يمضي الى مضجعه ٠

استلقيت على ظهري فوق العشب ، لاني كنت أريد أن أنام ، ولكني لم أستطع النوم ، اذ كان عواء الثعالب يتناهى الي من بعيد ، وكل ما كان بعيدا جدا اصبح قريبا فجأة ! وتزاحمت الثعالب حولي ، وكانت عيونها تلتمع ببريق ذهبي باهت ، وأجسادها نحيلة ، وكانت تتحرك بسرعة وبشكل اضطراري كأن السياط تلهبها ٠

أقبل ثعلب من الخلف ، واندس تحت ذراعي ، ملتصقا بي ، كأنه في حاجة الى دفء جسدي ، ووقف بعد ذلك أمامي ، وقال ، وعينيه تكاد تجابه عيني : ـ أنا أكبر الثعالب كلها سنا ، ويسعدني أن أرحب بك هاهنا ، فقد كدت أفقد الامل فيك ، نحن ننتظرك منذ وقت طويل ، انتظرتك أمي وأمها ، انتظرتك كل الامهات بما في ذلك أم الثعالب كلها ، ولك أن تصدقني في هذا الذي أقوله ٠

قلت ، وقد نسيت أن أشعل كومة الحطب المعدة أمامي لاوقف بدخانها الثعالب دوني :

ـ يدهشني ،،، يدهشني جدا أن أسمع هذا ، لقد قدمت صدفة من الشمال فأنا بصدد القيام برحلة قصيرة فماذا تريدين مني أيتها الثعالب ؟

التفت الثعالب حولي ، وكأنها قد وجدت في كلامي الذي ربما أكون قد بالغت في التلطف فيه ، ما يشجعها وتصاعدت أنفاسها قصيرة مبهورة ! ثم بدأ أكبرها يقول :

ـ نحن نعلم أنك قادم من الشمال ، وعلى ذلك بالذات تنبني امالنا ، فهناك العقل الذي لايوجد له أثر هنا بين العرب ، أعلم أن كبرياءهم لا يمكن أن تقدح منها شرارة من عقل ! فهم يقتلون الحيوانات ليأكلوا لحومها ، ولكنهم يحتقرون الميتة ! ٠

ـ لا ترفع صوتك ! فالعرب ينامون قربنا ٠

قال الثعلب :

ـ أنت غريب حقا ، والا لكنت قد عرفت أن ثعلبا لم يخش عربيا قط ، في تاريخ العالم كله ، ولم نخافهم ؟ ألا يكفينا شقاء أن نعيش منبوذين بينهم ؟

قلت :

ـ قد يكون هذا صحيحا ، قد يكون صحيحا ، الا أني لا أبيح لنفسي الحكم على أشياء أنا أبعد ما أكون عنها الظاهر أن بينكم وبينهم نزاعا قديما ، امتزج بالدم ، وقد لا ينتهي الا بالدم !

قال الثعلب العجوز :

ـ انك لذكي جدا !

تسارعت انفاس الثعالب ، ولهثت رئتاها مع أنها كانت هادئة في أماكنها ، وكانت تنبعث من أفواهها روائح كريهة لا تحتمل الا بمشقة !

استمر الثعلب العجوز يقول :

ـ انك لذكي جدا ، فهذا الذي تقوله يطابق تعاليمنا القديمة تماما ، لن ينتهي النزاع اذن الا اذا نحن امتصصنا دماءهم !

قلت بعنف أكثر مما كنت أريد :

ـ آه ! سوف يدافعون عن أنفسهم ويقتلونك ببنادقهم سربا سربا ، أيتها الثعالب !

قال الثعلب العجوز :

ـ أنت تسيء فهمنا على طريقة ذلك النوع من الناس الذين يعيشون في الشمال أيضا ! نعم سيقتلوننا ، ولكنا نحن لن نقتلهم ، فالنيل لا يحمل من الماء ما يكفي لتطهرنا ولذلك فما أن نلمح أجسادهم الحية حتى نفر الى الهواء الطلق ، الى الصحراء التي نعتبرها لهذا السبب وطننا ٠

أحنت الثعالب كلها ، بما فيها تلك التي كانت قد أقبلت في أثناء ذلك من أماكن بعيدة لتنضم اليها ، أخفت رؤوسها بين أقدامها الامامية وراحت تنظفها بمخالبها ، كانت كأنها تريد أن تخفي كراهية رهيبة الى درجة أنني وددت لو أني استطعت أن أبتعد عن حلقتها بوثبة عالية

قلت :

ـ ماذا تنوين عمله ، ايتها الثعالب ؟

ألقيت عليها هذا السؤال ، وهممت بالنهوض ، ولكني لم أستمع ، كان ثعلبان صغيران قد عضا سرتي وقميصي من الخلف ، ومن ثم كان علي أن ألزم مكاني ، فقال الثعلب العجوز موضحا ،، برزانة

ـ لقد مسكنا ذيلك ، وهذه تحية رسمية !

صحت وأنا التفت حينا الى الثعلبين الصغيرين وحينا اخر الى الثعلب العجوز :

ـ عليهما أن يتركاني !

قال الثعلب العجوز :

ـ سيفعلان ذلك طبعا ، ان أنت طلبته منا ، الا أن ذلك يتطلب شيئا من الوقت ، فقد غرزا انيابهما ، طبقا للعادة بصورة عميقة ، ولا يتم نزعهما الا ببطء وفي أثناء نزعها عليك أن تسمع رجاءنا

قلت :

ـ ان هذا السلوك لا يجعلني أميل الى قضيتك أيتها الثعالب !

قال وقد اتخذ صوته نبرة تنم عن شكواه الطبيعية

ـ لا تأخذنا على قلة خبرتنا هـذه ، نحن حيوانات مسكينة ، لا نملك غير أنيابنا وكل ما نفعله من خير وشر لا يبقى لنا منه غير أنيابنا !

قلت في شيء من الرفق :

ـ ماذا تريدين اذن ، أيتها الثعالب ؟

صاح :

ـ يا سيدي !

وتعالى عواء الثعالب كلها ، فظهر عواؤها على البعد البعيد بمثابة أغنية !

ـ ياسيدي ! عليك أن تنهي هذا النزاع الذي يشطر العالم شطرين ، فالوصف الذي وصف به أجدادنا ذلك الذي سينهي هذا النزاع على يده ينطبق عليك في صورتك هذه تماما ، لابد أن نكون في مأمن من العرب ، ينبغي أن يكون الهواء الذي نستنشقه نقيا ، والا يكدر وجودهم نظرتنا الى الافق ! اننا لا نريد أن نسمع صرخة الحمل الذي يذبحه العربي ، يجب أن تموت الحيوانات كلها في دعة ، وعلينا نحن بعد ذلك أن نمتص دماءها ونطهرها حتى العظم ، اننا نريد التطهر لانريد غير التطهير !

وفي تلك اللحظة شرعت الثعالب كلها تبكي وتنتحب :

– كيف تحتمل أنت ذلك في هذا العالم ، أيها القلب النبيل ، ايتها الاحشاء العذبة ، ان بياض العرب قذارة وسمادهم قذارة ، ولحامهم رعب ، فعندما نراهم يتحتم علينا أن نفرغ مافي أحشائنا ، وحين يرفعون أذرعهم تنفتح جهنم في اباطهم ! لهذا ، أيها السيد ، لهذا أيها السيد الغالي ، نرجوك أن تقطع بمساعدة يديك القادرتين على كل شيء ، بيديك القادرتين على كل شيء ، أن تقطع رقابهم بهذه المقص !

وتبع ثعلب حركة سريعة من رأس الثعلب العجوز ، واقترب وهو يحمل بأنيابه مقصا صدئة

لقد أحضرت المقص أخيرا ، وبذلك ينتهي كل شيء !

قال ذلك قائد قافلتنا العربي ، الذي كان قد تسلل الينا عكس اتجاه الريح ولوح بسوطه الجبار ، فتسارع الجميع ، الا أن الحيوانات الكثيرة بقيت على بعد مسافة جاثمة متراصة ومتلاصقة بحيث بدت وكأنها حظيرة ضيقة ، يحيط بها سراب ، فقال العربي وهو يضحك بفرح بقدر ما تسمح به تقاليد قبيلته :

– اذن ، لقد رأيت ، أيها السيد ، هذا المشهد وسمعت ما قيل فيه

قلت له :

– أنت تعرف اذن ما تريده هذه الحيوانات ؟

فأجاب :

المقص ستظل متنقلة في الصحراء ما دام هناك عربا ، وستظل متنقلة معنا الى اخر الدهر ، وسوف تقدم لكل أروبي يقوم بعمل عظيم ، والاروبي هو ذلك الذي يبدو لها مهيئا للقيام بهذا العمل ! ان لهذه الحيوانات آمالا لا معنى لها ! انها مجنونة ،، مجنونة حقا ، ولذلك نحبها انها كلابنا ، وهي أجمل من كلابكم ! تصور لقد مات جمل في الليل ، فأحضرته الى هنا

وأقبل عدد من الحمالين ، وألقوا بجثة جمل أمامنا وما كادت توضع فوق الارض حتى رفعت الثعالب اصواتها وقبلت مشلولة وكأنها تجر مفردة بحبل ، وكانت أجسادها تلامس الارض ، كانت قد نسيت العرب ، ونسيت كرهها لهم ، لقد سحرها حضور الجيفة النتنة ، التي تمحى كل شيء ، وتعلق أحدها بعنق الجثة ، فأصاب الوريد بالنهشة الاولى ، وكما تحاول مضخة صغيرة مسعورة دون جدوى أن تطفىء حريقا هائلا ، لابد من اطفائه ، كذلك كان كل عضو من اعضائها يهتز وينتفض في مكانه ، وترامت الثعالب كلها بعد ذلك فوق الجثة

عندئذ لوح قائد القافلة بسوطه الحاد ، وضربها طولا وعرضا ، فرفعت رؤوسها في حالة هي بين النشوة والاغماء فرأت العرب واقفين أمامها ، وأحست بالسوط فوق أفواهها فقفزت الى الخلف وفرت مسافة الى الامام ، وكانت دماء الجمل قد تجمعت وتحولت الى غدير صغير ، تصاعدت ابخرته ، وكان جسد الجمل قد تمزق في أماكن مختلفة ولكن الثعالب لم تستطع الامتناع عنه ، فعادت اليه تنهش لحمه ، وعندها رفع قائد القافلة يده بالسوط مرة أخرى فمسكت ذراعه ، فقال لي :

– انك لعلى صواب ، يا سيدي ! سنتركها تمارس مهنتها ، فقد أن وقت الرحيل ، المهم أنك رأيتها ، انها حيوانات بديعة ، اليس كذلك ؟ وما أشد كرهها لنا !

لعينيك حبي

شعر الأزهر عطية

عندمـا تشتعـل النار بقلبـي
عندما ينهار هذا الوجه قربي
عندما تذبـل عيناك حبيبـي
عندما تحزن أشجار الصنوبر
عندما يستيقظ الحب بقلبي
أضرم النار بجسمي
ولعينيك اصلي
ولعينيك، لعينيك،لعينيك أغني
وأغني مثل طفل
وكنور الصبح أمشي
ثم أمشي ، ثم أمشي
ويجيء الصبح والفجر ، يجيء
النور
والحب ، يجيء السهل والصعب

يجيء السلم والحرب ، يجيء
ولعينيك أصلي
ولعينيك أغني ، وأغنيَ
ومعي القلب يغني

● ★ ●

عاشـق يا أيهـا الوجـه الذي
أحزنني
وله يا أيها القلب الذي عذبني
وزمان الحب والشوق زمان
يحرق القلب ويضنيه
واه لبنان تمهل
لارى فيك شقائي
وأرى فيك عذابي
فتمهل مركب الحب تمهل
وعلى الصعب تمهل

● لعينيك حبيبتي

ففؤادي اسرج الريح وسافر
وعيوني عشقت شمس الزمان

● ★ ●

وركبت البحر والنهر ، ركبت
الليل والبرق

ركبت الريح والرعد ، وسافرت
تغربت زمانا عن بلادي

في بلادي
غير أن الحب والشوق وهذا القمر

الافل في مشرقه أحزنني
في غربتي عن موطني

في موطني
فتشجعت وعدت

● ★ ●

صاحبي يا أيها الباكي على
لبنان قل لي

املأ الكأس وقل لي
فلماذا يقتل الحب بقلبي

ولماذا يا صاحبي لا تشرق
الشمس

على بيروت والناس حيارى
فلماذا يا صاحبي

فلماذا

فلماذا

فلماذا ؟ ،،

جارة الوادي أجيبي

ان هذا اليوم يومك
جارة الوادي أجيبي

غن لي أغنية الحب
أنام اليوم نوما هادئا

وامنحيني لحظة
من زمن العشق وأمضي

نحو أتعاب الزمان
نحو آهات الجنوب

واه بيروت سلاما
يحرق الشوق فؤادي

كل يوم للقاك

● ★ ●

،،،،،،،،
،،،،،،،،
،،،،،،،،

اضحكي لا تحزني اليوم

فنور الفجر ، نور القلب ، نور

الحب آت

اضحكي لا تحزني
وامسحي الدمع وعينيك

هل البحر ، أم النهر ، أم الليل
أم النور ، أم البدر

أم الشمس ، أم الورد
أم القلب ، أم الشوق

أم الحب تجلى فيهما
واه بيروت سلاما

يحرق الشوق فؤادي
كل يوم للقاك

يا جبال الارز يا لبنان
يا عورتنا يا عارنا

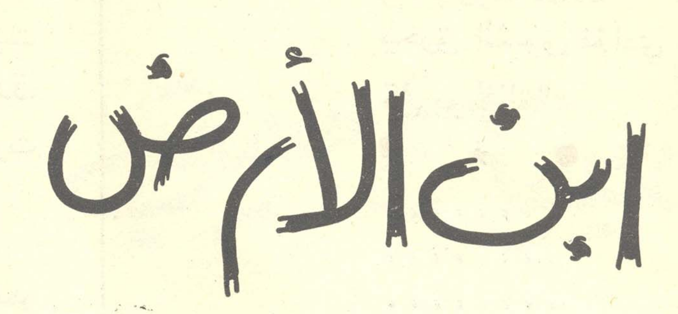
يا بلادا أتخطى

زمن الحب اليها

زمن الشوق اليها
زمن البؤس اليها

زمن العهر اليها

الازهر عطية ـ سكيكدة



ابن الأرض

بوالطين عبد الحفيظ

توقفت السيارة عند المنعطف ، دفعة واحدة ، وانحنى السائق يحدق في العدادات الصغيرة المثبتة قبالته ، ثم توجه الي بقوله :

ـ هاقد وصلنا أيها السيد ٠

قلت وأنا أقلب النظر في جملة الاكواخ المتداعية ، التي لاحت لعيني من خلف الزجاج :

ـ ولكن ليس في هذا الدوار مسكني ، فالدار لما تزل بعيدة ٠

ـ أعرف ذلك ، ولكن الطريق غير صالحة كما ترى وقطع الغيار أصبحت دواء ٠

قال هذا ، وهم بمغادرة السيارة ، غير أني أمسكت بكتفه محتجا :

ـ ولكننا لم نتفق على أن ترميني في منتصف الطريق ؟؟

فرد ببرود واستجداء :

ـ « الله غالب » يا أخي ، فأنا لا أستطيع أن أنهك سيارتي من أجل دنانير قليلة ، وعلى كل حال ، الله يسامح ان ثقل عليك دفعها ٠

واسقط في يدي ، ولم أجد ما أرد به عليه ، فناولته الثمن ، ثم صفقت الباب خلفي بعنف ، ورحت أجر الحقائب المنتفخة في مشقة بالغة ، فيما سمعته يعتذر لي بكلمات رقيقة مشجعة :

ـ لا تبتئس يا سيدي ، ففي هذا المكان ، لن تعدم وسيلة اخرى تكمل بها طريقك ٠

والتزمت الصمت متعمدا ، ويممت صوب شيخ هرم كان يتفيأ ظل صفصافة باسقة ، ولم يمض طويل وقت ، حتى وجدت عنده ضالتي ، وتم الاتفاق بيننا بعد أن دسست في يده المتشققة عددا من الاوراق النقدية ، اختفى اثرها في أحد الاكواخ الديسية ، ثم خرج يقود بغلا نحيفا سلمني لجامه ووقف يرقب المشهد حائرا مرتابا ، وهو يرى شابا أنيقا متحضرا ، يركب البغل بسهولة ، ويتحكم في حركاته بدراية تامة ٠ ولاحظت على وجهه علامات استفهام كبيرة ، غير أني تجاهلتها ، وحييته باشارة من يدي ، وباليد الاخرى ، رحت أحث البغل على المسير فالطريق ما تزال طويلة ، مسيرة ساعتين على الاقل ٠٠

ساعتان وأكون بين أبي وأمي ، وأختي « رقية » ٠ سنجتمع حول « كانون » الفحم من جديد ، ستكون مفاجأة للجميع ستموت أمي فرحا ، وتطير « رقية » سعادة ، عندما ترى ما أحمله لها من حلي وفساتين جميلة ٠

وأبي ٠٠؟ أتراه ما يزال يرعى الغنم ؟

أترى الايام قد أنسته تلك النكبة التي مني بها منذ سنوات ؟ ٠ يوم أتى الجفاف على كل شيء ، وكانت الخراف تموت واقفة !! لقد هد الالم قواه ، واغتالت الفاجعة كل آماله !! وتلالات الدموع في عينيه ، يوم وقف يودعني بالميناء ، ويزودني بنصائحه القيمة :

ـ « سر يا ولدي ترعاك عين الاله ستجد أمامك دنيا جديدة ، وعالما جديدا ، ومسرات لا عهد لك بها ، ولكن تذكر دائما أنك ابن الارض ، وأنك من بلد القحط والجفاف والخراف التي تموت واقفة ٠ تطول الاغصان يا ولدي وتعلو ، وتعبث بها العواصف والانواء ، ولكن الجذور تبقى دائما متصلة بالارض ، متشبثة بالتراب » ٠

وشعرت بكلماته تنطبع في قلبي ، وتنقش على جوارحي ، وغالبت دمعة كبيرة ، وهو يحتويني بين ذراعيه ويمطرني بالقبل والدعوات ، في حين شق الفضاء صوت مزعج ، كزئير وحش خيالي ، وتحركت الباخرة بعد دقائق ، منزلقة في عالم الزرقة والضباب ، لتتقيأنا على شواطيء الالم ، والدخان ، والجليد الاسود !!

وانطلقنا مذعورين ، كجرذان برية جائعة ، نضاجع العياء ، ونغوص في الوحل والقذارة ، وننفذ الى كبد الجبل ، ننهشه بنهم بحثا عن سراب براق !

وطوال الخمس سنوات التي قضيتها في الغربة ، لم تبرح مخيلتي ، صورة أبي ، وكلماته التي كانت تتردد بداخلي كأصداء جرس ، في معبد خاو ٠ « تذكر ياولدي أنك من بلد القحط ، والجفاف ، والخراف التي تموت واقفة ٠٠ » وانسابت يدي بخفة ، تتحسس حافظة النقود المتورمة ، وتفيض على البغل من تحتي ، فينطلق برشاقة ونشاط ٠ والتفت أتفقد المكان ، كانت الدنيا من حولي مصبوغة بلون الرماد ، وفي السماء سحابة سوداء تحجب وجه الشمس ، في حين توقفت كل حركة ، وشل كل صوت ٠٠ !

ـ ان هذا السكون ينبيء بعاصفة هوجاء ، ووراء هذا الصمت ما وراءه ٠ ودق قلبي بقوة ، ورحت أستعجل البغل بعقب حذائي ، بينما بدأت السحب تتحرك كقطيع من الفيلة الضخمة ، وأخذت العاصفة تهب ، وأكوام الغبار ترتفع في السماء عشرات الامتار ، مصحوبة بالصواعق والرعود وكلما اشتدت العاصفة ، ازداد تكاثر ذرات الغبار المتطايرة في الفضاء ، وجاهدت للتقدم الى الامام ، وأنا أشعر بحبات التراب تصفعني بعنف وتدخل أنفي وفمي وعيوني ، وبدأت كويرات البرد تتساقط بغزارة ، متبوعة بسيل من الامطار ، وفي لحظة فاضت الجداول والشعاب ، وغمرت المياه كل أخضر ويابس وصعب علي التنفس !! فانحنيت فوق ظهر البغل وتركته يمشي على هواه ، وتردد المسكين في السير ، رغم ما عرف به من قوة وشدة بأس ، ولم أجد مفرا غير الالتجاء الى شجرة « زعرور » كبيرة ، ربطته الى جذعها ، ثم اتخذت منه حاجزا يقيني شر الرياح والامطار ٠

وخف تساقط المطر بعد لحظات ، وهدأت العاصفة فنهضت واقفا ، أجيل البصر في الخلاء المنكوب بالعواصف والفيضانات ، ولا حظت أن بعض الحشائش قد استؤصلت فيما بقي بعضها الاخر يقاوم السيول المتدفقة من كل مكـان ٠٠٠

وقف شعر رأسي ، وشعرت بالوحشة والفزع ، وأنا أجد نفسي وسط عالم خرب لا حياة فيه !!

ثم واصلت السير ، وسط المياه والاوحال ، وأنا أحرص على تتبع المناطق الرملية الصلبة ، وبعد مسيرة ساعة تقريبا ، بانت لعيني نخلتنا الباسقة تطل برأسها من خلف الاكمة ، وشجرة الخروب التي قضيت تحتها أجمل ساعات صباي !!

وتزاحمت في ذهني الصور والتساؤلات ٠

ترى ٠٠ أما زالت « رقية » كما تركتها ؟؟ ٠

وبيتنا ؟ ٠٠ أما زال وحيدا منعكفا عند سفح الجبل أم قد صار لنا جيران ٠٠ ؟

وتسلقت المرتفع بسرعة ، لاصدم بمنظر رهيب !!

كان الكوخ مهدما ، والسيول تخترقه جارية معربدة وقد تهاوى نصف سقفه المغطى بنبات الديس ، بينما جدرانه الطينية محتفظة ببعض صلابتها ·

ورميت الحقائب أرضا ، ثم نزعت حذائي ، ورحت أخوض في البركة الموحلة ، شعرت بألم حاد في احدى قدمي ، فاحتملت ، وتخطيت العتبة ، كانت هناك بعض اواني المطبخ مبعثرة في اهمال ، وقد امتلأت ماء وطميا وعلى الجدران حصير بال ، ومصباح زيتي معلق باحكام ··

وبدأت خيوط الكارثة تنتظم بمخيلتي !! رباه !! ·· أيكون الفيضان قد طرمهم ؟! · أأعود بعد كل هذه السنين لاجدهم صرعى !! ؟ ·

ولكن هذا مستحيل ! ·· ان الفيضان لم يكن خطيرا الى هذا الحد ، فبامكانه تهديم الكوخ ، وجرف الاواني والاثاث ، ولكن الاشخاص لا ·· انهم يستطيعون النجاة واذن فلابد أنهم قد لجأوا الى أحد الكهوف أو القمم ···

ألا ما أقساك أيها الدهر ، اوجعتنا بضرباتك مرتين !!

– عم تبحث أيها السيد ! ؟ ·

والتفت مذعورا لافاجأ بشيخ وقور ينتصب بين الخرائب كالعملاق ، واذ لاحظ حيرتي وارتباكي عاود السؤال ثانية :

– ماذا تفعل هنا أيها السيد ؟ ·

قلت : – أبحث عن أهلي ·

فرد في سخرية مهذبة :

– وهل أنت من فصيلة الضفادع حتى تبحث عن أهلك في هذا المكان ؟ ·

يا الهي !! ان هذه البحة في صوته ليست غريبة علي وملامحه ! ·· انها نفس الملامح ·· نفس الانف ، نفس العينين ، نفس الشاربين ·

– أبي !! أبي !! ·

ودفنت رأسي في صدره ، استنشق من ثيابه رائحة الزعتر والعرعار ، وشعرت بيده تعبث بشعري ورأسي ثم رفع وجهي اليه وصاح منفعلا :

– سمير ·· سمير ·· أتبكي يا ولدي ؟

فأجبته وأنا أمسح دموعا غزيرة كانت تنهمر على خدي بصمت :

– أواه يا أبي أين أمي ورقية ؟؟

– في البيت يا ولدي ·· هل جرى شيء ؟؟

وسقطت عند قدميه وأنا أردد في يأس :

– وها أنت ذا ترى حال البيت ·· فأين هما منه ؟ ·

وحدق في وجهي مليا ، وشعرت بتغير في نغمته ، وهو يجيبني :

– ولكن ليس هو هذا البيت المقصود ، فقد تركناه منذ اسبوع تقريبا ، بعد أن أصبح لنا بيت جميل فيه كهرباء وماء ··

– ماذا تقول ؟ ·

– الم تسمع بالثورة الزراعية ؟ لقد تغير كل شيء في غيابك ! وزعوا علينا الاراضي ، وبنوا لنا قرية جميلة فيها المدرسة والمسجد والمستشفى انظر انها تظهر من هنا

ودققت النظر حيث أشار بيده ، وقفت مشدوها ، منظر يفيض بالبهجة والحياة ·

سهول خضراء قد قسمت في هندسة بديعة ، وبيوت بيضاء تتعانق في ألفة حول عمود من رخام يعلوه فأس ومذراة ، ومنجل ·

بوالطين عبد الحفيظ

الحروش – ولاية سكيكدة

عن البيان الكويتية

الصعود الى السقيفة

مسرحية : احمد بودشيشة

ولد الاديب أحمد بودشيشة عام ١٩٥١ بعين مليلة ـ ولاية أم البواقي ـ ..
تابع دراسته ما بين ـ أم البواقي و ـ قسنطينة ـ دخل سلك التعليم عام ١٩٦٩ ثم استقال ليكون موظفا في وزارة العدل .. الى جانب كونه المسؤول المالي لفرع اتحاد الكتاب الجزائريين في قسنطينة ، وعرفته الصحافة الادبية قاصا وكاتب مسرحية .. شارك في الصحافة الجزائرية والعربية بانتاجه الادبي وله مخطوطات هي :
١ ـ مجموعة قصص بعنوان : ادم يهبط المدينة
٢ ـ مجموعة مسرحيات بعنوان : اللعبة المقلوبة
٣ ـ الكتاب الاول من ثلاثية ـصرخة وزغرودةـ رواية .

أ الشخوص :

١ ـ المتشرد الاول
٢ ـ المتشرد الثاني
٣ ـ رجـــل

ب شخوص ثانوية

٤ ـ طفـــلان

ـ تجري المسرحية في مكان واحد لا يتغير ـ

(مكان يجلس فيه المتشرد الاول ينحصر بين صناديق القمامة عند نهاية السلالم)

المتشرد ١ : (يحدث نفسه) لقد أعياني البحث عما يغريه على البقاء في هـذا المكان الحقير . غريب أمره أيصبر كل هذه السنين على العيش في موضع كهذا . بئس المكان الذي اخترت . لم ، لماذا لا يصعد ؟...

(يدخل رجل غليظ الجسم يبدو المتشرد الثاني)

المتشرد ٢ : الى أين أصعد ؟
المتشرد ١ : الى فوق ..
المتشرد ٢ : أنا !؟
المتشرد ١ : أجل أنت ..

المتشرد ٢ : من أنت .؟ وماذا تريد ؟ . أنا لا أعرفك .
المتشرد ١ : (ضاحكا) لاتعرفني !. لايهم أنا أعرفك . والكل يعرفني ويعرفك .

المتشرد ٢ : كيف .؟
المتشرد ١ : الست المتشرد (. . .) . ؟
المتشرد ٢ : أجل .
المتشرد ١ : أنا الاخر مثلك متشرد .

المتشرد ٢ : طيب . (مظهرا الدهش) ما سبب حضورك الى هذا المكان ؟ ثم من ادراني أنك متشرد مثلي ؟ . هه ! .

المتشرد ١ : جئت أتعاون معك ، والتعاون وحده هو الذي يعرفك عني .
المتشرد ٢ : تتعاون معي . فيم ؟
المتشرد ١ : في التخلص من هذه الحياة التي تعيشها .

لقد آن الاوان لنطالب بحقنا المسلوب ٠

المتشرد ٢ : أتحمل هذا الشعار وأنت تستلقي فوق مضجعي ، وتستحوذ على مأواي ٠ ؟

المتشرد ١ : أرجو ألا يكون استلقائي هذا ذريعة لسفه فكرتي التي عرضتها عليك هه ٠
(ينهض) فقط كنت أختبر هذا المكان لارى ما الذي شدك اليه طوالحقبة طويلة من عمر حياتك حتى احدودب عمود ظهرك ٠

المتشرد ٢ : (بغضب) ابرح هذا المكان على الفور يا هذا والا شكوتك الى سكان هذه العمارة ٠ عد من حيث جئت لا تثب الىهذه الفكرة مرة اخرى ٠

المتشرد ١ : تمهل يا صاح ٠ أين هي برودة اعصابك ٠ الم أقل لك أني كنت أختبره ؟ ٠

المتشرد ٢ : لماذا ؟ ٠

المتشرد ١ : لاني رأيتك تستعيض به مكانا اخر ، أفضل منه كثيرا ٠

المتشرد ٢ : مرحى ٠ مرحى أهذه هي الفكرة التي جئتني بها ؟ ٠ اعلم يا هذا لو وجدت مكانا أحسن من هذا لما تأخرت في الذهاب اليه ٠ ولا أنتظر أن تخطرني به أنت ٠

المتشرد ١ : عجبا ! !

المتشرد ٢ : علام عجبك ؟ ٠ هل ترى مكانا اخر ٠ ؟

المتشرد ١ : أي نعم ٠

المتشرد ٢ : أين ٠ ؟

المتشرد ١ : السقيفة ٠

المتشرد ٢ : (بدهش) السقيفة ٠ (يدفعه) ارحل ٠٠٠ ارحل على عجل ٠ لا تنغص عيشي ٠

المتشرد ١ : بئس العيش الذي تعيشه ٠ حتى متى وأنت في نوم عميق لا تفيق ؟ ٠

المتشرد ٢ : لم أعثر على عيش أرغد منه ٠

المتشرد ١ : الم تر السقيفة ؟ ٠ هيا نصعد اليها ٠

المتشرد ٢ : (واجلا) اخرس ٠ (باستعطاف) دعني اني مرتاح في هذا المأوى ٠

المتشرد ١ : لماذا تؤثر هذا المكان الذي تعرس فيه الجرذان ٠ ؟

المتشرد ٢ : لقد آلفتني ولم تعد تؤذيني ٠

المتشرد ١ : ما هذا الهذر الذي أسمعه منك ؟ ٠

المتشرد ٢ : ارحل ٠ ارحل ولا تورطني في شيء أنا بريء منه ٠ (يدفعه) ارحل ٠

المتشرد ١ : كلا ، لن ارحل ٠٠ لقد جئتك لتصعد معي الى السقيفة ٠٠ الى الشمس المنعشة ٠٠ الى الهواء الطلق ، النقي ٠٠ الى المأوى النظيف الرحب ، الدافيء ٠ هيا ٠٠ هيا يا صاح الى الصعود ٠ (يمسكه) تخلص من هذا العيش الغليظ ٠

المتشرد ٢ : اتنصحني أن اتبع ما في الغار وأدع ما في يدي ؟ ٠

المتشرد ١ : المكان واضح للعيان وليس بخاف عليك ٠

المتشرد ٢ : ولو ٠

المتشرد ١ أو تؤثر البقاء في مكان رطب ، تعسكر فيه الجرذان ٠ ؟

المتشرد ٢ : ارحل ٠ لا تقض مضجعي ٠

المتشرد ١ : لماذا تهفو نفسك الى الدناءات ٠ ان المكان مكان الفضلات ، وتتناول الجرذان فيه قوتها ٠

المتشرد ٢ : من أجل هذا أنا باق ههنا أمنع الجرذان من الصعود الى البيوت الفوقانية مقابل هذا المكان وبما تجود به يد السكان السخية ٠

المتشرد ١ : انبذ هذا العيش وهيا بنا نصعد ٠

المتشرد ٢ : ارحل ٠ ان مسعاك سيبوء بالفشل ٠ ارحل ٠٠ اني لك ناصح ٠

المتشرد ١ : كلا ٠ أنا صاعد ٠

الرجـل : ما هذه الضوضاء ؟ ٠
(يسمع صوت الرجل وهو نازل على السلالم)

الرجـل : من أنت ؟ ٠

المتشرد ٢ : (يهمس له) لاتذكر فكرة الصعود أمامه ٠

المتشرد ١ : (للرجل) أنا يا سيدي ؟ ٠

الرجـل : أجل ٠ ما الذي جاء بك ٠ ؟

المتشرد ١ : ومن أنت ؟ ٠

الرجـل : صه ٠ أنا وكيل أصحاب الدور الفوقانية ٠ ما حاجتك ؟ ٠

المتشرد ٢ : انه يحرضني ٠٠

الرجـل : عمن ؟ ٠

المتشرد ٢ : عنكم يا سيدي ٠ أنا بريء ٠٠ بريء ٠

الرجـل : عنا ٠٠ وما حاجته عندنا اذا كنا لانعرفه ٠

المتشرد ٢ : انه يبحث عن مأوى ٠

الرجـل : أنا لا أرى تحريضا في هذا الطلب ٠ كان ينبغي عليك أن ترد طلبه وتحسم هذا الضجيج ٠

المتشرد ٢ : وأي طلب يا سيدي ٠٠ انه يريد الصعود ٠٠ (يرفع سبابته الى اعلى)

الرجـل : الصعود الى أين ٠ ؟

المتشرد ١ : الى السقيفة ٠

الرجـل : ماذا اسمع ٠ ؟

المتشرد ١ : الحقيقة ٠

الرجـل : أو تجرؤ ٠

المتشرد ١ : لا أرى في طلبي هذا تجرؤ اذا كانت السقيفة لا يشغرها أحد ٠

الرجـل : كلا : أنت مخطيء ٠ السقيفة ٠٠٠

المتشرد ١ : أعلم أنها مكان لمرح اطفالكم وتجلس فيه نساؤكم ٠

الرجـل : مادمت تعلم ، لماذا تسأل ؟ ٠

المتشرد ١ : اعلم أن مقابل هذه السقيفة أعرض عليكم خدمة ٠

الرجـل : ما هي ٠ ؟

المتشرد ١ : أن أخلصكم من الجرذان تخليصا نهائيا ٠

الرجـل : ألك حيلة في الخلاص منها ؟ ٠

المتشرد ١ : وناجعة ٠

الرجـل : اذا كنت صادقا نمنحك مقابل السقيفة هذا المكان (يشير الى مضجع المتشرد ٢) حتى تكون قريبا من تحركاتها ٠

المتشرد ٢ : (للرجل) وأنا ٠٠ وخدمتي الطويلة في سبيل راحتكم ؟ ٠

المتشرد ١ : أنا لا أرضى بهذا المكان الحقير ٠ ولكي يمكنني مراقبة الجرذان ينبغي علي أن أكون في مكان عال ٠

الرجـل : اعرض علي فكرتك ؟ ٠

المتشرد ١ : سر ٠ لا أفشيه ٠

الرجـل : طيب ٠

المتشرد ٢ : انه يخدعكم ٠

الرجـل : صه ٠

المتشرد ١ : لابدأ العمل ٠٠ (للرجل) أحضر أمتعتي من الخارج ، وادعمن يحملها الى السقيفة ٠
(يصعد الى الطابق الاعلى ٠٠ بعد فترة قصيرة يهبط مع طفلين ٠ يأمرهم بادخال الامتعة وحملها الى السقيفة)

المتشرد ٢ : أمر غريب · أفنيت عمري كله في خدمتهم لا يسمحون لي بمجاوزة الدرجة الاولى من السلم ·

المتشرد ١ : هل ثبت الى الصواب ؟ ·

المتشرد ٢ : (متجاهلا ومستمرا في محادثة نفسه) هاهو ذا المحتال تنطلي عليهم حيلته فيحقق ما عجزت عنه أنا منذ سنوات · لكن سأقوض فكرته ·

المتشرد ١ : لا يهمني صمتك ·· فأنا مستعد في كل وقت أن أقاسمك السقيفة التي حصلت عليها ·

(يحمل كيسا ودلو ماء · ويهبط في القبو)

المتشرد ٢ : ماذا ينوي أن يفعل هذا الاحمق · لار ·· (يطل من خلال البوابة) انه يسد الثقوب · بالاسمنت والرمل · كيف فاتتني هذه العملية السخيفة ·

الرجل : أنزيل الخبز المسمم ؟ ·

المتشرد ٢ : (يبتعدعن البوابة) انه في القبوياسيدي ·

الرجل : سأنتظره ·

(يخرج المتشرد ١)

: ماذا كنت تفعل ؟

المتشرد ١ : كنت أقوم بأول عملية ضد الجرذان ·

الرجل : هل نزيل الخبز المسمم الموزع في الاركان والزوايا ·

المتشرد ٢ : كلا · انما أكثروا منه للاحتياط ·

الرجل : أمرك

(يصعدان الى فوق) ·

المتشرد ٢ : (يرقبهما حتى يختفيا) اهبط الى القبو وافتح كل الثقوب (يهبط)

(بعد فترة قصيرة يعود الرجل · يضع الخبز المسمم في الاركان · يذهب) ·

المتشرد ٢ : (يعود الى الظهور) فقأت الثقوب والجحور كلها (ضاحكا مع نفسه)

المتشرد ١ : اصعد · اصعد أنا في انتظارك ·

المتشرد ٢ : كلا ·

المتشرد ١ : أنا لا يطيب لي العيش فيه وحدي · انه مكان دافيء جميل · اصعد

المتشرد ٢ : (لا يرد) اخرجي أيتها الجرذان – يلتفت الى قطعة الخبز التي في الركن – اه قطعة خبز · يمضغها – لعل السكان قد انتبهوا الى وفائي في خدمتهم · – يزدرد الخبز المضغة تلو المضغة – · كم هو لذيذ · – بعد فترة – ألم في بطني · – يتوجع يرفع عقيرته بالالم · ينتفض على الارض · –

الرجل : ما هذا الضجيج (يهبط) ·

المتشرد ١ : (يهبط) ما ذا حدث ·

الرجل : أكل الخبز المسمم · انه يحتضر ·· ليمت · (يصعد)

المتشرد ١ : ما ذا أكلت ؟ ·

(المتشرد ٢ يشير الى قطعة الخبز)

: لقد قتلتك الفضلات · ألم أقل لك اصعد معي ·

(تفيض روحه)

: لقد مات ·· مات ··

– تظهر بعض الجرذان تلعب فوق مضجع المتشرد ٢ –

– ستار –

حتى العصافير أعلنت الحداد

خلف بشير

بالامس مات ابراهيم ٠٠ ودع هذه الدنيا ٠٠ دون أن ينبس بكلمة واحدة ٠٠ دون أن ينطق بحرف واحد ، هوى كما تهوي ذرة غبار من الاعالي على أديم الارض ، لفظ أنفاسه في المستشفى خلال الليل ، فالساعة والدقيقة مجهولتان ، اذ أن المرض المناوب أعلن : أنه توفي في الليل ٠٠ رحل الى العالم الآخر ، وغير بعيد من سريره ممرضة تفرقع العلكة منتشية ، في حوار هادىء رومانسي مع ممرض يطوفان دنيا الاحلام ٠

لم يكن حادث وفاة ابراهيم الطفل مفاجئا ، فالذين شاهدوه وهو ملقى ينزف دما بغزارة على حاشية الطريق ثمرة ناضجة ٠٠ طرية ٠٠ ريانة ٠٠ سقطت من الشجرة فوق صخرة صلدة ، وبفعل قوة السقوط وثبت أخيرا لترتمي على الحاشية ٠٠ فقدت الثمرة شكلها الاصلي ٠٠ تعودت الانظار هذا السقوط ٠٠ تبلد الاحساس والشعور التفوا حول بعضهم في حلقة مكثفة ، اشرأبت من بينها الاعناق ، بصق أحدهم على الارض بعدما انفلت من الحلقة معلقا :

– هه ٠٠ أرانب تلد ، وتلقي بصغارها على قارعة الطريق ٠

وافقه آخر باشارة من رأسه ٠ اندفع ثالث مقتحما الجمع بمنكبيه صارخا :

– لنخط خطوطا تحدد مساحة الضحية ٠

– لا يارجال ٠٠ لنقم بعمل أسرع ، أراه مفيدا في هذه اللحظة ٠٠ ما قولكم في البحث عن ولية ٠

رفع أحد الشيوخ رأسه الى السماء وتمتم : « الله يلعن هذا الزمان » ٠ شكلت خيوط حمراء متدفقة من الضحية مساحات ذات أشكال هندسية غير منتظمة ٠٠ عينان شاخصتان الى الفضاء ٠٠ انزاح منها اللون الاسود ٠٠ تاركا الحرية للون الابيض ،كي يحتل مساحة العين ٠٠ ثم تمددت الاطراف مرتخيةشيئا فشيئا ٠ دنا أحد الحاضرين من الضحية ٠٠ وضع اذنه على الصدر ، هتف بارتباك :

– أنفاسه ضعيفة ياناس ، لا يزال بامكاننا انقاذه ، لكن ٠٠ لكن ، كيف العمل ؟ ٠

– لنترقب رجال التحقيق ، فوجود الضحية في مكانها سيساعد على معرفة الحقيقة ٠٠

٠٠٠ اندفع شيخ متصاب ، بقوة الشباب ٠٠ بعزيمة الفتوة ٠٠ فاتحا لنفسه طريقا ٠٠ انحنى بلطف واحتضن الضحية وانطلق بها على الطريق يعدو ٠٠ وسريعا مالحقت به سيارة ، ابتلعته بحمله ٠٠ وغابت عن الانظار ٠

□ ★ □

ـ بجسم حط الكبر عليه كلكله المرعب ٠٠ صيره شبه انسان ٠٠٠ تتردد في داخله أنفاس ضعيفة واهنة ٠٠ بقلب يخفق بجنون صعقته الصدمة ٠٠ لم يدر ما حدث بالضبط ٠٠ عبارة واحدة التقطتها أذناه ، فاه بها جاره منذ لحظات حينما أطل من الباب :

ـ جمع كبير من الناس تجمعوا قبل لحظات ٠٠ قيل أن سيارة تجري بسرعة جنونية دهست طفلا في السادسة من عمره ٠٠ السائق لم يعثر عليه بعد ٠٠ والسيارة واقفة هناك ، وداخلها تغني كوكب الشرق ٠

اندفع أثناءها كالبرق الخاطف ٠٠ صوب المكان ٠٠ خيوط كثيفة من سائل أحمر ضمخت المادة السوداء ٠٠ كان الكل على جانبي الطريق بعيدين ٠٠ عيون شاخصة ، وأخرى تسير الى مكان الحادث ٠٠ بعض الرجال غابوا في حوار ساخن يوزعون الجرم الفظيع ٠٠ أطل من منعطف الشارع ، لم يتضح الموقف لديه بعد ٠٠ رشقته الانظار جميعها ٠٠ أثخنته جراحا ٠٠ كاد أن يسقط ٠٠ استند الى جذع شجرة جانب الطريق ٠٠ اقترب من احدهم ، ثم ما لبث أن خاطبه بصوت ترتعد نبراته :

ـ ماذا حدث قبل لحظات هنا ؟ حركة غير عادية تبدو لي ٠٠

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ـ أرجوك ، أفصح ، اني لعلى استعداد أن أصغي اليك بشجاعة وصبر ٠ اعتبارا لهذه الانظار الموجهة الي ٠٠ والهمسات التي تصلني ، فقلبي ما يحدثني بخير وهو يقول لي :

ـ ان مكروها يمشي قريبا لي ، اليس كذلك ؟

ـ بلى ، يا محمد ٠٠ مجرد حادث بسيط جدا ، أصيب به ابنكم ابراهيم ، حينما كان يقطع الطريق ٠٠ احتكاك بسيط بسيارة قادمة من الجهة الشمالية اسقطته أرضا ٠٠ مجرد سقوط ٠٠ الواقع حالته لا تدعو للخوف ٠٠ أسرع به لتلقي الاسعافات الضرورية ٠٠٠

□ ★ □

ـ مساء الخير يا أخي ٠٠ الم تحضر سيارة قبل حوالي الساعة الى هنا تحمل طفلا جريحا ؟

ـ لا أدري بالضبط ، فكما ترى سيارات كثيرة تدخل وتخرج في كل دقيقة حاملة المرضى أو الاطباء ٠٠ أو العمال ٠٠ أو ٠٠ أو ٠٠

ـ لكنك بالباب على علم بكل شيء ٠

ـ يا سيدي ، انصحك بالتوغل داخل المستشفى ، ولسانك دليلك ٠٠

مرت الثواني والدقائق ٠٠ وشرع الليل يرخي سدوله على الكون ٠٠٠ في الافق البعيد من ناحية الغرب تشكلت مساحات حمراء وصفراء وبرتقالية متداخلة في بعضها ٠٠ كاشفة عن وجوه وأجسام ذات هيئة غريبة ومخيفة ٠٠ مرعبة ٠ على ضوء باهت لمصابيح تحتضر كان يقطع العنابر والممرات ولسانه دليله ، كرهت اذناه الاصغاء الى جواب سمعه للمرة العاشرة :

ـ والله يا أخي لست أدري ٠٠ لكني أشير عليك بالتوجه الى قاعة رقم واحد ٠

دلف الى قاعة رقم واحد ٠٠ دافعا الباب بعنف ٠٠ سلاحه حقد تجمع منذ سنوات ضد كل الابواب الحاملة للارقام ٠٠ للكلمات ٠٠ اندفع وحش هائج ٠ دخل القاعة رقم واحد للمرة الرابعة ٠٠ ما أكره العبارة الكاذبة الى نفسه في كل مرة : « والله يا أخي ، والله يا أخي » ٠٠ بخطوات عملاقة ، ارتعدت لها أرضية القاعة ، قادته الى باب تحميه حروف انضمت الى بعضها ، والتصقت مكونة صفا دفاعيا ٠٠ بل هجوميا ضد من يجرؤ على الاقتراب ٠٠ واقترب بثبات ٠٠ حدجته الحروف بنظرات قاسية عنيفة لا تخلو من الايقاع به ، غير أنه تمكن من الاقتحام بنجاح ودخل الحصن المتين المحروس وسقط نظره عليهما ، كانت المفاجأة مذهلة له ولهما ٠٠ همسات رقيقة ٠٠ وأنفاس ملتهبة بلهيب النشوة واللذة ٠٠ والشفاه تلتهم بعضها بعضا ٠٠ وأطلق الزناد لرشاش فمه يطلق ناره الحامية ٠٠ الحارقة ٠٠ المدمرة ٠

حقن بحقنة مخدرة ، قربتهمن حالته العادية ٠٠ أعادت الى نفسه الحيرى بعضا من الطمأنينة التي لا تخلو من شك وريبة :

ـ اطمئن ، فقد تلقى الاسعافات الاولية ، وحالته على أحسن ما يرام ٠٠ لا تخش مكروها عليه ٠٠ الان قد أقبل الليل انصرف وطمئن الاسرة ، وغدا ان شاء الله عد ٠

ـ لكني أحس بشوق لرؤيته ٠٠ نفسي تتحرق شوقا اليه ٠٠ أريد أن أراه بربكم ٠٠

ـ ألا تثق فينا يا سيدي ؟ ثم أن الطبيب في هذه الحالات يمنع الاتصال بالمريض ، الا بعد اجراء الفحوص الكاملة

والتعرف على نوعية الاصابة ٠٠ عد في الغد ، أفضل ٠

□ ★ □

اكتظ الحوش بالنساء قدمن من كل أحياء البلدة ٠٠ بأعينهن الماكرة يلتهمن مبروكة التي كانت طورا تغيب عن الوجود في اغماءة طويلة تعود منها الى رشدها بعد اسعافات تقدم لها من لدن الحاضرات ، وطورا اخر تكون شاردة الذهن ساهمة وعيناها جاحظتان ٠٠ وبين هذا الطور وذاك ، لا تتوقف عن ترديد :

ـ ابراهيم ، توا كان يلعب قربي ٠٠ هاهو الرمان أحضره لي من غرفة المؤونة ٠٠ انه لذيذ وحلو المذاق ٠٠ أكل منه وترك الباقي لي ٠٠ طلبت منه أن يذهب الى سعيدة أختي ٠٠ سيحضر حالا كما أمرته ٠٠ من غير شك انه عائد ٠٠ يا فاطمة ٠٠ يا فاطمة ٠٠ يا بنيتي ٠٠ تطلعي من في الطريق ٠٠ كعادته سيطالع دروسه ٠٠ محفظته هناك النافذة الى الطريق ٠٠ راقبيه عله قادم ٠٠ قمن يا نساء ٠٠ الليل جاء ٠٠ عدن الى منازلكن ٠

ـ أسعد الله صباحك يا محمد ، هل اتصلت بالمستشفى هذا الصباح ؟

ـ نعم ٠٠ اتصلت بنفسي قبل بزوغ الشمس ، غير أني لم أتمكن من الدخول رغم محاولاتي للحارس الليلي ٠٠ بيد أن هذا الاخير غاب لدقائق وأعلمني عقب عودته ٠٠ أن حالة الطفل تحسنت ٠٠ ومن المحتمل جدا موافقة الطبيب على اخراجه ٠

ـ صباح الخير يا محمد ٠٠ ما الاخبار ؟

ـ بخير ، ان شاء الله ، قيل لي ان حالته تحسنت ٠٠

ـ هل رأيته هذا الصباح ؟

ـ لم أره بعد ٠٠ الا أن الحارس طمأنني ٠٠

كبرت الحلقة ٠٠ تضاعف عدد أفرادها ٠٠ توالت الاسئلة الصادرة من هنا وهناك ٠٠ أحس بدماغه يكبر ويكبر ويتثاقل وزنه ٠٠ والصداع يقتحمه في غزوة همجية ٠٠ كاد يسقط ٠٠ انتصبت ضبابة كثيفة أمام عينيه ٠٠ انسل من الحلقة ، لا حقته كلمات من الحلقة ٠٠ حروفها سهام سامة رشقته ٠٠ أثخنته جراحا ، بخطى متعثرة ٠٠ ابتعد بعيدا ٠٠ بعيدا ٠٠ وحيدا ٠٠٠

بوجه حزين فقد نضارته ، هجرته دماء الفتوة ، فاجأ هول الحادث محمد ، لم يصدق ما حدث أبدا ٠٠ أفي ساعات قليلة يفقد وحيده ؟ الابن الفريد الذي رزق به بين بنات ثلاث ٠٠ أفي أقل من يوم يغيب عن عينيه الى غير رجعة ٠ لقد اشترى من أجله قطعة ترابية وبنى عليها منزلا لتقيم به الاسرة حتى يتمكن ابراهيم من دخول المدرسة والتعلم وتحقيق أمنية الاب التي حرم منها هو في طفولته ؟ ٠٠٠ لم يصدق ما حدث ، جلس في ساحة الحي يتقبل التعازي ، أو هكذا ارادوا أن يتقبل التعازي ، مكتفيا بتحريك رأسه أحيانا ، فاقدا الشعور والاحساس بالزمان والمكان أحيانا أخرى ٠٠ حركة غير عادية حوله ٠٠ أيادي كثيرة امتدت اليه ٠٠ شفاه تحركت ٠٠ أصدرت أصواتا تذبذبت بين عالم الغيب وعالم الواقع ٠

٠٠٠ فجأة توقفت سيارة عريضة فخمة طويلة ذات زجاج أخضر ٠٠ تحمل رقم هوية أجنبية ٠٠ تقيأت ٠٠ ثلاثة رجال يبدو أنهم من أعيان بلدة مجاورة ٠٠ رابعهم شاب انسدل شعر طويل على قفاه ٠٠ بنهم غريب راح يمتص من غليونه ، ومن وراء زجاج نظارته السوداء وجه نظرات الاحتقار نحو الجالسين ، اتضح فيما بعد أنه عائد للتو من بلاد المهجر ، بعد التحية وتقديم التعازي انفردوا به ، مربع زواياه رجال أربعة قائمون ، كان هو نقطة الوسط ، قال أكبرهم وأفصحهم :

ـ نأسف والحزن يحز نفوسنا ويؤلم أعمق أعماقنا لما حدث وهذه مشيئة الله في عباده ولا راد لها ٠٠ الا تؤمن بهذا ياسيدي المؤمن صبور ٠٠٠٠ جئنا باسم السائق الحاضر معنا ٠٠ بل باسم البلدة نطلب منك العفو أمام الله أولا ، ولا نطلب منك التنازل عن حقك المادي ، ففي هذا الشأن أتينا نعرض تسوية القضية من خلال هذه الكمية الوفيرة من الاوراق المالية ٠٠ خذ ٠٠ انها لك وحدك ٠٠ على الاقل تخفف من ألمك ٠٠ وعلى المدى البعيد تنسيك هول الحادث ٠٠ الله رؤوف بعباده ، سيعوضك غيره ٠

ـ مجرد حادث فقط يا سادة ، ابني ابراهيم كما أعلمني المرضون بالمستشفى حالته تحسنت ٠٠ نعم فعلا تحسنت لقد رأيته ، كان وجهه منيرا كالبدر ٠٠ سأذهب لاتي به بعد ساعة ٠٠ سيعود الى مدرسته بمحفظته الجديدة التي ابتعتها له يوم الجمعة الماضي مكافأة له على ترتيبه الممتاز في فصله ٠٠ مجرد حادث بسيط ٠

اقترب أحد الجالسين من الرجال الاربعة وخاطبهم بلهجة لا تخلو من عتاب وزجر :

ـ أفي مثل هذه الظروف يا سادة وفي هذا اليوم بالذات تأتون ٠٠ اغربوا عن وجوهنا ٠

خلف بشير   **عن البيان الكويتية**

صمت وصياح

ولد الاديب القاص محمد مرتاض بـ - مسيردة الفواقة - التابعة لـ - تلمسان - عام ١٩٤١ شارك في حرب التحرير بصفته جنديا في جيش التحرير .

التحق بالتعليم منذ الاستقلال في مراحله الابتدائية ، والاعدادية ، والثانوية ومعاهد التربية .

حصل على اجازة الاداب من جامعة وهران ١٩٧١ وعلى دبلوم التربية وعلم النفس ١٩٧٢ وعلى دبلوم الدراسات المعمقة - ماجستير - ١٩٧٩ يعمل حاليا مكونا بمعهد التربية لتخريج أساتذة التعليم المتوسط .

عرف من خلال الصحافة في القصة والمقالة الادبية .. له في القصة مجموعة مخطوطة ، وفي المسرح مسرحية نشرتها مجلة امال بعنوان - المغرورة - بالاضافة الى مسرحية - الانتهازية - المخطوطة .. هذا الى جانب عدة روايات مخطوطة - جحيم وفردوس - و - التضحية - .

قصة : محمد مرتاض

الليل هادىء ساكن . لايقطع صمته القاتل الا نباح الكلاب ، ونعيب الابوام .. تارة هنا .. تارة هناك .. وطورا عن بعد محسوس جدا .. ليس هناك أصوات .. حتى الهمس لم تعد تسمعه ، ما عدا ترديد الانفاس وهي صاعدة هابطة ، مخنوقة بالشفاه المتزمتة من البرد الشديد .. كانت الليلة جدا باردة .. وكانت صبارة البرد فيها تسري في الاجسام سريان الكهرباء في الماء تمس الاسنان فتجعلها تصطك ، وكأنها قد عزلت عن فكيها ، فغدت تتضارب بعضها ببعض ...

كان الليل باردا برودة الثلج ، والظلام الغاسق قد أسدل سجائفه على الكون وكأنه قد حقد على العالم والناس أجمعين ، فغشيهم بأغطيته السوداء ، حتى لايبدو هذا من ذاك ، ولا ذاك من هذا ...

تتابعت هذه الافكار كلها بخلدي قبل أن يأمرنا القائد المكلف بالعملية ، بالانبطاح على الارض .. وبعد مضي زهاء ساعة قلت في نفسي :

- ما أشد برودتك يا ترى !! ولكن بردك أو صقيعك يتحول الى سخونة والى عزيمة لما نكنه لك من تقدير ...انك تكون الوطن الغالي الذي نقدسه .. بل نقدم أرواحنا رخيصة في سبيله .

كثر ارتعاشي ، تضاعفت قشعريرتي .. ولكني لم أبرح الارض التي كنت متلبدا بها كفراشة مهزومة من الصقيع !! ..وتسمرت في مكاني ، وكأني مربوط بقيد من حديد .

كانت عقارب الساعة كأنما قد توقفت .. فاذا مرت ساعة فكأنها سنة ، لكثرة ما هو عالق بالارض من وحل وبرك من الماء تملا المكان ، وبرديوشك أن يجمد الاجسام .

جاء قائد الفرقة ليقوم بجولة استطلاعية ، ويراقب كل واحد فيما اذا كان ما يزال في مكانه أم غيره ؟ .. فألفى الوضع على ما يرام .. اذ لم يكن باستطاعة أحد أن يريم موطنه ، وهو انما وضع فيه على أساس تجربة ممكنة ، ولا أقول على أساس نظريات مرسومة لان أغلب قواد الجيش وضباطه كانوا من الامين ...

وعادت نفسي تارة أخرى لتلقي علي هذا السؤال :

- ترى ! متى ستنجز العملية ، وتكر راجعا لتسخن جسمك داخل الكهف الدافيء ؟!

ومن البديهي أنه لم يكن من اختصاصي أن أجيب نفسي بنفسي ، ولم يك من السهولة أيضا مطاوعتها والانسياق لوساوسها . فسخرت منها ومن همسها ونبسها .. وضحك ضميري ضحكة المنتصر الظافر من سخافتها وهرائها .

ولم يقطع هذه النجوى التي ذهبت بي بعيدا الا زمجرة سلاسل الدبابات ، وهي مقبلة بين الاسلاك الشائكة المكهربة على الحدود الجزائرية المغربية .. كانت تظهر على تل وهي تدب خائفة تترقب ، على الرغم من أنها لم تكن تعلم بعد ان المجاهدين يملكون السلاح المضاد لتلك الكارثة التي اوجدها العلم الحديث لفائدة الانسانية فسخرها الاستعمار لاغراضه الدنيئة ، ومطامعه التوسعية الشخصية ... ولكنها كانت قد رميت مرارا بزجاجات – المولوتوف – التي كانت تصيبها مرة ، وتنجو أخرى ..
– (ما أسعدنا بدباباتنا هذه ! .. ولو كنا فرقة المشاة لابادنا – الفلاقة (١) – في يومنا الاول)

قال هذا سائق الدبابة وقهقه عاليا كالمنتصر .

فأجابه رفيقه المكلف بالدفاع :

ان الخطر ليحدق بنا يا احمق . وهل تعتقد أن هؤلاء يثبط عزيمتهم قلة السلاح أو فقدانه .. ؟ اذا كان الامر كذلك ، فلم يسقطون لنا الطائرات الضخمة ببندقية من عيار ست وثمانين ؟ ... أوبحثوا عن المدافع المضادة للطائرات ؟ .. ايه ... كم أعيد على مسمعي في الثانوية بأن الجزائريين جبناء .. دخلت أرضهم فرنسا ، فلم يطلقوا عليها رصاصة ، وأنهم من الهمجيين الذين يأكلون الحشائش ويحيون بين الادغال والمغاور ، وبين الاحراج في الغاب ، تماما كالعصر الحجري ، يوم أن كان الانسان بعيدا عن التمدن والتحضر ، الفيت كل هذا تناقضا ، بل كذبا وبهتانا ، وزورا مبينا .

فقاطعه صديقه :

– (عجيب أمرك .. اني أراك تجنح الى كفة الثوار هذه الليلة .. ربما لانك تهزأ بهم ، ما داموا لا يملكون سلاحا مضادا للدبابات ، وتحيطهم بهالة من القوة الفتاكة وتضفي عليهم ألوانا من الشجاعة ، وضروبا من الاندفاع والاقدام .)

فقال رفيقه كرة اخرى ، ويبدو أنه كان أعقل من صاحبه :

– (قلت لك يا أبله ، ان هؤلاء لا يضيرهم عدم السلاح بل يزيدهم التجرد منه استنفارا وبأسا .. ألا تذكر معركة – فلاوسن – ، هجوم الصبابنة (٢) .. كمين مجيعة ؟ .. فقدنا من أبناء الحلف الاطلسي ؟ ... تذكر ... عد بذاكرتك الى الوراء ... ت ...)

وكان يصيح بأعلى صوته ، بينما كان سائر المرتزقة في الدبابات الاخرى ، يغنون أغنيات بلهجات مختلفة لا تفهم .. فهي قد تكون عن باريس ، عن أنجلترا ، عن اسرائيل ، أو أميركا .. من يدري ؟ .. ولكنها لغو واستهتار فيجميع التفسيرات .. اذ مما لاريب فيه ، أنهم سقوا ببنت الكرمة ، قبل أن يقحموا داخل الدبابات كدواب مسوقة ، ويقفل عليهم في أقفاصها الحديدية .. فعل بهم تلك الفعلة الخسيسة ، حتى لا يخامرهم رعب أو فرق ، وكأن الشجاعة تمنح أو تكتسب بأقداح الخمور وتثبت بزجاجات النبيذ ! .

كانت الاصوات مرتفعة صاخبة ، لا يعدلها الا نهيق **الحمر ، أو شهيق الاتن** . فاختلطت هذه الاصوات وكونت شيئا لا معنى له : جلبة ؟ ضوضاء ؟ .. ثرثرة ؟ . ولكنه ليس كلاما يفيد منه السامع أو يدرك كنهه .

أما المجاهدون ، فكانوا صامتين أشد الصمت ، ولم يصيحوا أو يرفعوا أصواتهم ، وانما اثروا أن يجيبوا على صيحات العدو بالرصاص المدوي ، ويردوا عليها بقذائف – البازوكا – مستخدمينها لاول مرة .. بالهجوم على تلك الدبابات نفسها .. بتحطيمها .. باتلاف الاسلاك الشائكة ، ونسف الكهرباء ... باحداث فجوات وثغرات يتسلل منها جنود اخرون ابطال الى قلب حصون المستعمرين ، لغنيمة الاسلحة ، وابادة فلول المعتدين الاعداء ..

واكبر المجاهدين خفة ان هم عزموا على القيام بعملية فانهم عندئذ لا تثنيهم صعوبات ، ولا تنال من بأسهم الجبال الراسيات ..

وعاد المجاهدون الى عرائنهم بعد أن غنموا وحطموا وأفزعوا ، وأثاروا عاصفة من الهلع والرعب في ما بقي من جنود العدو ينتظر دوره لتخترقه مرة أخرى رصاصة ، .. قذيفة ، .. أو قنبلة .

خيم الصمت من جديد ، ما خلا أزيز الطائرات التي خفت الى مكان العملية ، لتسلط ضوءا جهنميا بمصباحها الكاشف عليه دون جدوى .

وانبعثت حرارة في الاجسام ، بعد أن كانت باردة ثلجا ، أرسلت العزيمة فيها السخونة ، وبعث فيها الدفء حب الثأر ، والتوقان الى الانعتاق والتحرر ، والاستقلال .

ولم تعد تسمع وأنت ايب نباح الكلاب ، ونعيب الابوام ، وحسب ولكن هذه المرة صفارات الانذار أيضا ..

وكانت روائح البارود قد عبقت الجو بأريجها العطر ،فقضت على قاذورات الخمر ، وطهرت الفضاء الفسيح منه ومن أوباشه .. وكنت تكاد تسمع كل مجاهد وهو يناجي نفسه :

– (جميل أن تقطع اصوات الكلاب الصمت المطبق وأجمل منه أن تسكت البنادق المستعمرين الانذال ، وتخرس ألسنتهم الناطقة بالسوء ، الى الابد) .

وهران ، في ١٩٧٩/٥/٩
محمد مرتاض

(١) الفلاقة : لقب اطلقه الجيش الفرنسي على المجاهدين وهو من التفليق اي شق الشيء خوفا من المجاهدين ورعبا بسبب ما كانو يستعملونه من اسلحة مختلفة – شاقور – حديد – سكين – ابان ثورة التحرير المباركة

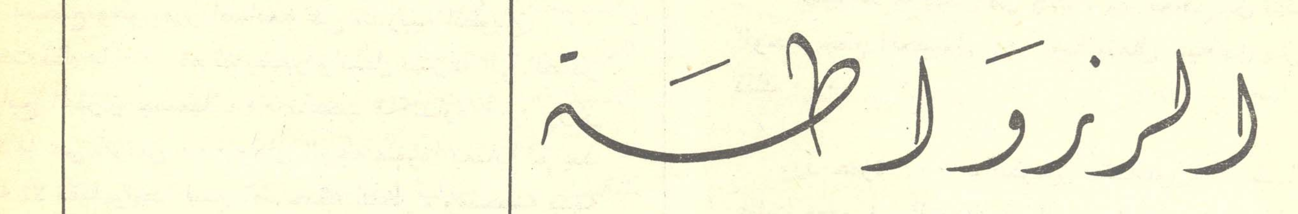
(٢) أسماء اماكن توجد بولاية تلمسان – مسيردة الفواقة

المائة الاولى في تاريخ البشرية

صدر كتاب المائة الاوائل في تاريخ البشرية للمؤلف الامريكي مايكل هارت باللغة العربية وترجم من قبل الاستاذ احمد اسعد عيسى والمحامي محمد غسان سبانو مع دراسة رائعة واستنتاج للاسلوب الذي اعتمده المؤلف في اختيار هذه المائة ولقد كان لتراثنا العربي حظه الاول في هذا الاختيار فوضع النبي العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الاول والاهم في تاريخ البشرية وقال : ان اختياري محمدا ليكون الاول قد يدهش القراء ولكن قد نجح اعلى نجاح في المستويين الديني والدنيوي .

وتظهر اهميته في عرض هذه الشخصيات التي لها اثرها الواضح في جميع العلوم والمعارف الانسانية .

صدر الكتاب عن دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق . ويتالف من ٣٢٠ صفحة من الحجم الكبير .



خيرة وهرانية أديبة ناشئة موهوبة تنتمي بقصصها الى المدرسة الواقعية ، وتكتب الى جانب القصة المقالة الادبية ..

قصة : خيرة وهرانية

ـ سحب كرسيا وجلس بمكانه المفضل خارج المقهى كلما زار المدينة ليسهل عليه الصيد ... هكذا قالها بكل بنعودة ... وهو يعدل عمامته المائلة على جانب رأسه ورقبته تساير ميلها متباهيا .

هوى براحته على الطاولة قائلا « والله لا أبارح مكاني هذا حتى أتمكن من صيدي ..... الجوع .... موريس .. الكلاب .... وابناء الكلاب .... وهز رأسه .. والمتاعب ..

ـ انتهى كل شيء ، وها أنا بالمدينة وحتى جيبي ملآن .... كم انتظرت هذا اليوم ... كم حلمت بهذه الجلسة ... أنا الان بالمدينة المقهى هي .. هي .. والشارع العريض لم يدخل عليه تغيير .. كأني فارقته البارحة فقط .. شيء واحد لم يظهر بعد .. الغزلان .. وركز عينيه على الشارع حتى اخره متفحصا المارة واحدا واحدا .. ولا أثر للغزلان ... أوه ... لماذا لم يبد لها أثر .. ربما تعجلت وسكرت ، لكن كم أنا غبي .. الغزلان الان نائمة .. انها الظهيرة .. والجو حار انه الصيف .. انه اللهب .. سأطلب قهوة أتلذذ بها وأقتل الوقت ريثما .. تسرح الغزلان .

أخذ الزرواطة من على وسطها وبفنية نقر على حافة الطاولة .. وجاء النادل متثاقلا .. ـ قهوة ثقيلة ... قالها وهو يسند ظهره على جدارالمقهى .. وعندما أطال النادل ... عاد للنقر مرة أخرى ..

أخذ يرشف قهوته بتمهل وعيناه مركزتان على اخر الشارع ، وجسمه يتمايل وكله غبطة مع صدى أغنية بلدية دغدغت أذنيه ، انسابت من الداخل واهتز .. ملاءة بيضاء لاحت من رأس الشارع .. وبدأته التباشير وتبسم .. كل شيء اذن على حاله .. واعتدل في جلسته .. ومد عنقه متشدقا .. يتفحصها ثم قال .. تبا لك من عجوز .. أفسدت التلذذ بالاغنية ... وعاد لمتابعة النغم .

فجأة أبصر وسط الشارع ملاءة مقابلة تماما لمجلسه فبوغت .. وتعجب كيف أنه لم يرها وعيناه معلقتان برأس الشارع .. وقال ـ ربما تكون خرجت من البيوتات التي على حافتي الشارع .

وأخذه الجسم الملتف في الملاءة ... متوسطة الطول .. قامتها ممشوقة .. واقتربت من مكانه على الطوار .. لكن فضلت السير وسط الشارع .. وراحت عيناه

تتابعانها ٠٠ من رجليها اولا ٠٠٠ ساقها من تحت الملاءة ٠٠ وهو يرتفع ليتخطى الطوار ظهر بين شقي الملاءة مكتنزا أملس لامعا كزبدة دشرتهم الطرية ٠٠٠٠

تنحنح وهو يمرر اصابعه على شاربيه الطويلين ٠٠٠ ليلفت نظرها ٠٠٠ ثم لم يصبر وانتقل بسرعة الى الصدر وتابع اهتزاز جسمها ٠٠٠ فاعجب باكتنازه ٠٠٠ وركز بعدها على الرأس ٠٠٠ وكان الوجه ملفوفا بعناية لم يبد منه الا ثقبا واحدا لينير لصاحبته النظر ، وتفحصه بدقة ٠٠ قوى قلبه بين ضلوعه ٠٠ وهو يرى العين السوداء الواسعة من الثقب ، والحاجب الارقط يعلوها ٠٠٠ ولم يتمالك ٠٠٠ اهتز وراء الجسم سائرا مترصدا خطاه جارا زرواطته من ورائه منحنحا تارة ٠٠٠ وقارعا بها الارض تارة اخرى ٠٠ والجسم يسير بخطى مسرعة غير عابيء بشيء ٠

وتبرم واغتم ٠٠٠٠ كيف لم تهتم به وبرم شاربه ناويا اتخاذ خطوة أخرى أحسم ٠٠٠٠ أسرع الخطى حتى قاربها بقامته المشوقة الطويلة وكاد يلمس كتفها ٠٠ في حذر مال برأسه عليها حتى كادت عمامته أن تنساب من على رأسه ٠٠٠ كلمة واحدة يا مليحة ٠٠٠ قالها بخفوت حتى لا يسمعه المارة ٠٠٠ وعاود الكرة مرات ٠٠ وبعد الالحاح المستمر ٠٠٠ سمع أخيرا صوتا مرتعشا ناعما ٠٠ أخطأت يا هذا انك لا تجيد الاصابة ٠٠ الا تفرق بين خبز الدار وخبز السوق ؟ ٠٠٠

فتراجع متخاذلا ٠٠٠٠ لم يكرر الالحاح ٠٠٠ وراحت الزرواطة تنسحب من ورائه لان يده لم تقو على امساكها تاركة وراءها خرخشة مزعجة خرخشة الهزيمة ٠

صاح بنعودة وهو يضم اليه شابا كان جالسا بالمكان الذي تركه من هنيهة بالمقهى ٠٠٠ ـ ماذا أتى بكم اليوم وأنتم في مرحلة الحصاد ٠٠ هل تركتم المحصول وحده لابناء الكلاب ـ ٠٠٠٠ وأجابه بالقاسم ـ ٠٠ جئت أنا والهاشمي لاصلاح قطع غيار الجرار الذي تعطل عن الحصاد في جهتنا ٠

وبنعودة يجلس على زرواطته على خلفية الكرسي ٠٠ وراح يتكلم ٠٠٠ تكلم عن محصول السنة الجيد وعن امراض الكرم ٠٠ وعن الخراف التي رباها وباعها اليوم خفية عن موريس رب العمل ٠٠٠ ايه موريس ؟ ٠٠٠ ياله من جشع ٠٠٠ يجري دوما وراء الربح يفضل عنا البهائم ٠٠٠ متجاهلا ما نبذل من جهد ، وما نعاني من فاقة همه الوحيد جمع المحصول ٠٠٠ وما ينهال عليه من مال وراء ذلك ٠٠٠

ورد حمزة ٠٠٠ ـ الكولون متحالفون ٠٠ علينا اينما عملت معهم في الشمال أو الغرب أو الشرق من الجزائر فخطتهم نحونا واحدة ٠٠٠٠٠

وتابع كلامه ٠٠٠ ـ ماذا أقول أنا عن بيران ـ انه لا يختلف عن صاحبك ، عندما يقترب الشتاء يتسللون الى جحورهم في المدينة تاركين نوابهم من الاسبان يتحكمون فينا ٠٠٠ حيث يتنعمون في فيلاتهم الدافئة هناك ٠٠٠ تاركينا نعاني اهانات الاسبان الدخلاء ٠٠٠

وقسوة الثلوج والصقيع تجلدنا الرياح بزمهريرها ونحن نكابد في حرث الارض وبذرها ٠٠٠ ينهشنا ٠٠٠ الجوع والعراء ٠٠٠ والمرض ٠٠ والحفاء ٠٠ ولا يعودون الا مع انتهاء الربيع وبداية الصيف الى القصور المشيدة قريبا من أكواخنا الحقيرة المتناثرة على السفوح ٠٠٠ وتجسم اتعرفون لماذا يعودون ؟ ٠٠٠٠ ـ انهم يعودون خوفا على القمح الاصفر ٠٠٠ من أن نسرقه حقدا أو نحرقه مرارة ٠

ان الخيرات التي نحصدها وندرسها ونملاها في الاكياس بعرق جبيننا تذهب للمدينة ومنها تسوق للخارج لاوربا ٠ ونبقى نحن نكابد الجوع الشتاء بكامله ٠ وأطفالنا يتلوون جوعا ولا من يرحمهم برغيف شعير ٠

وعقب بنعودة ٠٠٠٠ ـ بمرارة ٠٠٠ تكلمت عن القمح الاصفر ، وسأحكي لك أنا على العنبة الذهبية ٠٠٠ لقد اخترت أنا لحراستها خوفا عليها من السطو ٠٠٠ لما عرف عني بفضل هذه الزرواطة ٠٠٠ وأشار اليها وهي على الكرسي ٠٠٠ بفضلها حصلت على لقمة العيش يا أخوي ماذا أقول ؟ ٠٠٠ كلما وقفت بقامتي هاته للحراسة كالكلب الامين ٠٠٠ اسرح في السفوح المترامية الاطراف الواسعة المغطاة كروما على جبال تسالة المعطاء ، ذات التربة السوداء ، التي أصبحت كلها لقمة سائغة للكلون وأبنائهم

.. فأحس بالخيبة وبالبؤس .. بأي حق جاءتهم هذه الملكية ... كيف حصلوا عليها ؟ ... من أقرب الى هذه السفوح .. نحن .. أم هم ؟ ... وهذا سبب خصامي دوما مع موريس كم من مرة اراد فصلي لكوني اتغاضى عن النسوة والاطفال عندما يسطون على الكروم .. وبهذا امتنع عن استدعاء الجندرمة فكر ووجد أنه لا يجد أحسن مني .

ان عقلي يؤكد لي دوما وأنا بالحراسة أن هذه السفوح سفوحهم سفوح الاشقياء انهم أقرب اليها من غيرهم ان الملكية مغتصبة منهم ... انها مرتبطة بهم وهم مرتبطون بها ... ومن حقهم أن يتلقفوا هديتنا ... هدية السفوح العزيزة عليهم كما كانت عزيزة على ابائهم واجدادهم من قبلهم .. هم الذين لم يطيقوا فراقها بالرغم من قسوتها عليهم ... كفانا جوع الشتاء الطويل ... عنقود واحد من العنب يكفي لسد رمق يوم بكامله .. لولا هذا لما نجى من زرواطتي أحد .

فقال بلقاسم الكل يشهد انك تديرها عند الضرورة .. بالرغم من براعتك في تحريكها .. ضربة واحدة على القفى ... أو عند الناظر وتترك خصمك ممددا بدون حراك ... أما اذا متنت الضربة فتكون قاضيـة ... وينساب الدماغ من الانف

ان أخانا بنعودة ابن الدشرة أصيل يتعدى اذا اعتدى عليه ... وكيف لا ونحن تنكب علينا الاهانات من طلوع الفجر وبداية العمل حتى الغروب وانتهائه .. وممن ؟ من الاسبان الموكلين لمراقبتنا ـ ورد الهاشمي كلنا نشهد له بذلك ومن صغرنا ... والتفت اليه ... ـ أتتذكر السباحة يا بنعودة .. ؟ والطين ؟ ... وعقب الهاشمي وهو يضحك ... ـ والملابس التي كانت تسرق منا ؟ .. ورد بنعودة وهو سارح ايه على الايام .... ما أتعس صبانا ... أو تعرف كيف تعلمت الضرب بالزرواطة ... وأجابا ... لا ... ـ اننا نعلم أنها قوة وبراعة في الحركة ...

ـ وضحك انها قصة لا تنسـى .. ـ سرقـت ملابسنا ونحن منهمكون في السباحة بالوادي ، وكان الفصل صيفا ، مثل الان تماما اني أتذكر ذلك جيدا ، وعندما خرجنا من الماء لم نجد الملابس ونحن عراة نبحث عنها ، انهالت على اجسادنا قطع الطين ، فأوجعتنا والمتنا ، وأحسست ساعتها بالتقزز ، والطين يلتصق بجسمي العاري ، واستشطت الما وغضبا خاصة عندما سمعت الضحك ، وعرفت من يضحك ، ويرشقنا بالطين انهم ابناء الكلاب ، ابناء الكولون ، عادوا لقضاء عطلتهم كعادتهم في سهولنا ليضايقونا ككل صيف ولم أجد وسيلة تشفي غليلي سوى أخذ عود يابس من الارض ورحت وأنا عار أضرب يمينا وشمالا حتى أشبعتهم ضربا ومن يومها اصبح لا يفارقني العود الى أن اشترى لي والدي هذه الزرواطة التي ترونها ... ولقبوني أبناء الكلاب من يومها ـ بصاحب الزرواطة ـ ومن ساعتها ابتعدوا عن ساحتي بل وحتى أنهم صاروا يتوددون الي بقطع الحلوى بعد ذلك .

وهز الهاشمي رأسه معجبا ـ ... لم تتغلب أبناء الكلاب وحدهم بل تغلبت على كل شباب الدشر المنتشرة على السفوح بجدارة ، وأصبح لا يلوي ساعدك أحد وهو يلوح بالزرواطة ... هذا ما قاله بالقاسم وهو يشد على ساعد بنعودة .

جحظت العيون وتعطلت الالسنة ... صاح الهاشمي .. ياله من تبختر ... انه ليس بجسم غصن بان ملفوف في ملاءة حريريـة صفراء .. واقترب الجسـم المتحرك بقامته المديدة ... واهتزت الكتفان ... يمينا ويسارا في ايقاع راقص واهتزت معها الرؤوس ... ومما ذهب بلب بنعودة الصدر العاجي ... الذي حصرت عنه الملاءة عمدا .. وصاحبته تتظاهر بمعالجتها من على رأسهـا خوفا من أن تقع منها فتكون فضيحة ما مثلها فضيحة ، خاصة في يوم كهذا يوم سوق الاربعاء ، الذي يكتظ فيه الشارع بالفلاحين . انها تقصدني ... هكذا سمـع بنعودة وهو يتكلم مع نفسه وتابعها بنظرات مغرية .. واحمرت وجنتاه واتسعت عيناه ، وتمتم وهـو يودع جلاسه تاركا الزرواطة معلقة على خلفية الكرسي وقام من معه فتغامزا ثم نطقا وهما ينصرفان .. بالهناء والراحة ... وهز بنعودة رأسه بزهو وسار مسرعا وراء الملاءة

حتى لا تضيع منه وذابا هو والملاءة في زحمة المارة ، أما الزرواطة فبقيت بمكانها معلقة على خلفية الكرسي ٠

ظل بنعودة من رأس الشارع ، كل شيء هاديء ، اختفت الوجوه المكدودة ، واللحي ، والبرانس والمناجل والعصي والسلال ٠

انتهت المواصلات ، انـه الغروب ، لم يبق لـي الا المبيت في الحمام ٠٠٠ قال هذا وهو يريد الاتكاء علـى زرواطته كالعادة يسرح ٠ لا في المواصلات التي انتهت ٠ ٠٠ لكن ليتلذذ ويستعيد صور المغامرة التي كان رائدها من هنيهة ٠٠٠ لكن ياللشيطان اين الزرواطة ٠٠٠ اين تركتها ؟ ٠

وهو يضع قدمه على عتبة باب الحمام تحسس جيبه لقد طارت كل الاوراق المالية ولم تبق الا واحـده ٠٠٠ تمدد على الفراش ٠٠٠ لم يراوده النوم ٠٠ همه الوحيد الزرواطة ٠٠٠ لا الملاءة الصفراء ، ولا مسيو موريس ، ولا دراهم الخراف التي طارت منه منذ برهة ، ولا أهلـه المنتظرون هناك بالدشرة ٠

عم السكون ما عدا الشخير ٠٠٠ شخـير الاشقياء الملقون على الافرشة التي امتلا بها الحمام وهم شبـه ملتصقين ببعضهم ، ملتفون في برانسهم وجلابيبهم ٠٠ وأخيرا تذكر ٠٠٠ انه نسيها على كرسيه في المقهى ٠

ارتفعت الجلبة ٠٠ جماعة من الشرطة تأمر الجميـع بالنهوض هو والاشقياء المضطرين للمبيت مثله في الحمام ٠٠٠ لكن لماذا الشرطة ؟ ٠٠ وسيقوا كلهم الى الشاحنة ٠ يالها من ليلة منحوسة وبصق على الارض ٠٠٠ تمتم وهو يسير ويداه من على رأسه ٠٠ وصاحوا به قف وارم السلاح الذي بحوزتك ؟ ٠٠ ولم يرد ٠٠ السلاح ؟ اي سلاح ولم يعرف كيف يتصرف هل يتقدم أم يبقى واقفا ٠٠ لكن انكب عليه شرطيان يفتشانه ٠٠ ثم سألاه أمعك خنجر ؟ ٠٠ وهز رأسه نافيا ٠٠ كان ساعتها مشدوها ٠٠ عندما رأى زرواطته تطير في الفضاء وقد رمى بها أحدهم ٠٠٠ لقد عرفها انها هي من طوقها النحاسي الذي لمع الان في الظلام ٠٠٠ وارتعش قلبه انها الوحيدة التي بها طوق النحاس ٠

اعتلت في الفضاء ووقعت داخل السياج بعيدة شيئا ما عن هرم العصى المرمية والخناجر والزرواطات والعصى ٠٠ ركله الشرطي هيا انصرف يا بغل انك لا تملك سلاحا ؟

لم يفكر في العودة وهو في زاوية المقهى ينتظر طلوع النهار ٠٠٠ وانى له ذلك لكن رواد المقهى هذه الصبيحة لم يكونوا كعادتهم ٠ اذ كثر بينهم التهامس واعتلـت سماعهم مسحة عجيبة واستغرب ذلك أولا ثم حاول أن يستفسر ومال على قريب منه ٠٠ لكن الاخير انتفض واقفا وانسل مردا انـي لا أعرف شيئـا ٠٠٠ انـي لا أعرف شيئا ٠٠٠٠

لكن بنعودة أعاد السؤال على النادل مرة أخرى ٠٠٠ تردد هذا الاخير أولا وبعد ذلك مال عليه قائلا ٠٠٠ ـ يقال أنها الثورة قد اندلعت ٠٠٠ الفدائيون ٠٠٠ وقال بنعودة اوضح من فضلك اني لم أفهم ٠٠٠٠ وتبسم النادل ٠٠٠ ان الفلاحين يفهمون بسرعة ومالك أنت دماغك ناشف ٠٠

قال النادل ٠٠٠ ـ البارحة طعن ضابط شرطـة فـي مدينتنا هذه بخنجر في صدره من طرف فدائي وجرد مـن سلاحه ٠٠ وهذا وقع في كل مدن الجزائر هذا الاسبوع ٠٠ وابتسم قائلا انها الانتفاضة ٠٠٠ انها الثورة على الكولون والاستعمار ٠ وانصرف ليلبي رغبات الجالسين

وأعاد الكلمات بنعودة ٠٠٠ ـ الثورة ٠٠٠ الثورة ٠٠ الكولون ٠٠٠ فهمت لقد فهمت لهذا اصيبت الشرطة البارحة بالكلب ٠٠٠ لهذا جردونا من الاسلحة البيضاء ٠٠٠ لهذا فتشوني لقد فهمت ٠٠٠

راوده جموح غريب في اعادة الزرواطة خاصة في ظرف مثل هذا ٠٠٠٠ انهم يقولون بداية الثورة فكيف له مواجهة الكلاب بدونها ٠٠ لا يرحل الا وهي بيده ٠٠ وعاد للساحة العامة وللحديقة ذات السياج القصير حيث ارتفعت السارية الطويلة ، التي تحمل العلم الفرنسي وكأنه يهدد المارة برفرفته في سماء بلادنـا الغريب عنهـا ، مثبتا سطوة الاستعمار الكولوني المهيمن على المدينة والجزائر كلها ٠

ورآها ممدة على عشب الحديقة ، هـي ٠٠ هـي ٠٠

بنحاس طوقها الذي يغطي جزأ من كعبرتها ويحميها في نفس الوقـــت مـــن الانكسار ، وبقبضتهـــا الشبـــه مستديرة ، المكسوة بالجلد ، متوسطة الطول ، من الخشب الصندل الاملس أنى له بمثل كعبرتها ساعات قليلـة وسيتم حرقها مع كل هذه الزرواطات والعصي ٠

غافل المارة يمينا وشمالا وقفز داخل السياج انتشلها ٠٠ وعاود القفز على السياج بسرعة ٠٠٠ رمقه شرطي مارا بدراجته وهو يقفز من على السياج ، أمره بالوقوف ٠٠٠ رمى دراجته واتجـه نحوه ٠٠٠ تجمـد بنعودة وبدون شعور لوح بالزرواطة ووقعت كعبرتها على ناظر الشرطي فانهال على الارض ، وجرى وهو يشد بقبضته عليها ٠٠٠ هتف المارة ٠٠٠ لا تتفرقوا انها الثورة احموه أفسحوا له الطريق ٠٠ انه فدائي ٠٠٠

وفي صباح اليوم التالي نشرت الصحافة ٠٠٠٠٠٠ اغتيل شرطي من أحـد الثوار الخارجين علـى القانون الفرنسي ، بضربة زرواطة ٠٠٠ لهذا يمنع على السكان حمل الزرواطات والعصى ٠٠٠ وسيعاقب كل من خالف القانون ٠

الجزائر تضع خطة كاملة لانقاذ آثار الطاسيلي

□□ في أقصى جنوب الجزائر ، في منطقة الهوفار ، في الاطلس الصحراوي ـ تقوم الان ـ عمليات صيانة وترميم واسعة النطاق ، الهدف منها حماية آثار الطاسيلي التاريخية ، وهـي آثار المنطقة الباقية من قبل التاريخ والتي تشكل معرضا طبيعيا رائعا في صحراء الجزائر ٠

وتبذل وزارة الاعلام والثقافـة الجزائرية ـ هذه الايام ـ جهودا كبيرة لابراز هذه الاثار ، والحفاظ عليها من الاندثار وبخاصة بعد أن أصبحـت المنطقة فـي السنـوات الاخيرة محط أنظار قوافل السياح الاجانب الوافدين من أوربا ، حيث تثير جبال الهوفار ـ برسوماتها التشكيليـة الطبيعيـة البديعة ـ فضولهم ، وتغريهم بالبقاء الى جانبها أطول مدة ممكنة ـ في شكل مخيمات ٠

وقد ترتب على هذا مظاهر سلبية عدة ، منها :

قيام السواح برش الرسوم الملونة بالماء لتصويرها ، مما نتج عنه ـ بفعل التآكل ـ تشويه هذه الرسوم ، الى جانب نهب الكثير من تحف المنطقـ والعبث بالاثار ٠

وكانت وزارة الاعلام والثقافـة الجزائرية قد دعت الى ملتقى دولي حول اثار الطاسيلـي فـي الجزائـر وشارك فيه نخبة من علماء الاثار تم على أثرها بالتعاون مـع منظمـة (اليونسكو) وضـع خطة كاملـة لانقاذ هذه الاثار والعناية بها ٠

ونظرا للاهمية التي توليها وزارة الاعلام والثقافة الجزائرية لهذه المنطقة في اطار احياء التراث الوطني وبعثه فقد أصدرت كتابا ملونا بالفرنسية للتعريف بها وابراز روائعها التشكيلية التي تؤرخ لحضارة عريقة ما زالـت بصماتها تعكس وجهها ـ مجسدا على الطبيعة ٠

اشتراكيون وعينيك

ربيعة جلطي

شاعرة موهوبة ملتزمة بقضايا شعبها وقصائدها لا تخرج عن نطاق النضال القومي واللغة عندها جديدة ، وترى أن على كل – مفردة – أن تحمل صورة ، أو معنى ، وهي صوت جديد في الشعر الجزائري المعاصر .

ربيعة جلطي

وجهك الملغع بأزهار سقيفة « قس بن ساعدة »
يغني خلف قضبان السجون بالمجان
النوتة « دو »
لم تزعجني السكين على الرقبة
حين سمعت صراخ الطفلة الموؤدة من قرون
تراءت تمسح التراب عن لحاكم
قطعت الكف من الغضب ... صرخت
ما بيننا كالذي بين الحب واللاحب

النوتة « ري »
رفاقي ! معتوه هذا الخبر الضارب في الحمرة
مصلوب على صدر اللات والعزة
حزين .. حزن الصخر تحت المطر ..

فاسمعوني :
خشيت أن يضيع صوتي خلف خيام القبيلة
عادية هذه الايام حد العظم
والدوح الذي غرسته محارثنا في نسغ الارض
وسقته عروقنا من دمنا المهدور

يرفض أن يمنح الظل
والزنيبقات تطعن الظمأ الموروث بالغناء

وأطفالنا .. يقيسون المسافات بالضحكات
يجهلون طعم الخوف
فتعالوا نحترق ليبقى الاطفال
النوتة « لا »
هذه الطرق الصامتة المرعبة تدفعنا

جمرا نصير
قبل رفع مفاصل الخوف والحزن

النوتة « سي »
اشتراكيون .. نمد الكف منضفة الامس للآتي
الراجل .. نمد مروج العشق
نمد الفأس والمنجل والجرار والاهازيج
عبر الارض المرشوشة بالحب
اشتراكيون .. رغم مكبرات الصوت
والعيون الصفر وأصداء الخوالي
اشتراكيون نغني ملحمة القمح فوق الزوارق

وعلى الحقول المعجونة بالتبغ والعرق
على ضحكات الاطفال .. ننقش اسم الوطن
اشتراكيون وعينيك يا ذات الوجه المبلول بالشمس

أنت منا ، حين تكبرين ، لن تحفظي من الضمائر
غير نحث

ستخبرك العصافير الجوالة الاتية أنا :
اشتراكيون ٠٠ يتقاسم الضجيج غيرنا
ويصير الصمت غواصة

ونبتسم من خلال العرق ، ننشر :
بومدين النهر ، الظلال بواحتنا

والفصول الاتية للفقراء
للذين اغتيلوا تحت رمل الصمت والحجر

واخترقوا الارض ٠٠ يسبقون الدوران
فلنشرب على نخب الدنيا

قريب هو الاتحاد
قريبا ٠٠ يكتمل اللحن

شخصيات أدبية وفكرية

د ٠ عبد الله ركيبي

شخصية أدبية بارزة في الجزائر ، عرف بابداعه في الانتاج الادبي ، وخاصة في الدراسة والنقد ، قدم للمكتبة العربية عدة مؤلفات تهم الباحث والاديب وخاصة فيما يتعلق بالادب الجزائري المعاصر ٠٠ ومن أعماله الادبية الكثيرة نذكر بعضها :

١ ـ نفوس ثائرة ـ مجموعة قصص ـ
٢ ـ تطور النثر الجزائري الحديث
٣ ـ القصة الجزائرية المعاصرة
٤ ـ دراسات في الشعر الجزائري الحديث

ومن خلال الصحافة والاذاعة والتلفزة يعمل على نهضة الادب الجزائري ، من ذلك برنامجه ـ أقلام على الطريق ـ الذي يقدمه التلفزيون الجزائري كل خمسة عشر يوما هذا اضافة الى عمله التدريسي في كلية الاداب ، جامعة الجزائر ٠٠ وهو من مؤسسي اتحاد الكتاب الجزائريين

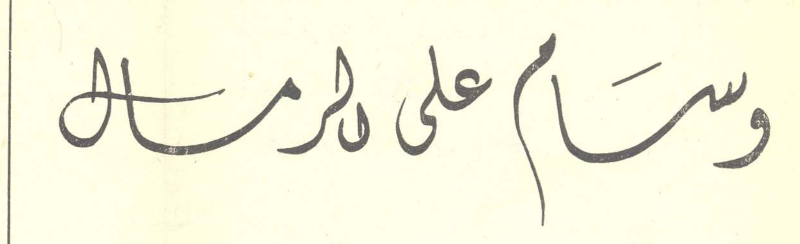
● زهور ونيسي

من مواليد قسنطينة عام ١٩٣٦ ، وهي أول أديبة وصحفية جزائرية باللغة الجزائرية شاركت وما تزال في المقالة الادبية ، والقصة ، صدر لها مجموعتان قصصيتان هما ـ الرصيف النائم ـ ١٩٦٧ و ـ على الشاطيء الاخر ـ ١٩٧٤ ٠٠ وستصدر لها رواية بعنوان ـ يوميات مدرسة حرة ـ نشرت بشكل حلقات في جريدة ـ الشعب ـ الجزائرية ٠٠

تشغل منصب مديرة مجلة ـ الجزائرية ـ بالعربية والفرنسية منذ تأسيسها ، وهي عضو لجنة الاعلام بحزب جبهة التحرير ، وعضو المجلس الشعبي الوطني ، وعضو اتحاد الكتاب الجزائريين ، وعضو المجلس الوطني للاتحاد النسائي ٠

● عبد الحميد هدوقة

كانت ولادة القاص والروائي الجزائري عبد الحميد هدوقة ١٩٢٥ بمدينة المنصورة التابعة لولاية سطيف كان له دور هام في القصة الجزائرية فقد صدر له في القصة ـ الكاتب وقصص أخرى ـ و ـ الاشعة السبعة ـ و ـ ظلال جزائرية ـ وصدر له في الرواية ـ نهاية الامس ـ و ـ ريح الجنوب ـ وفي قصيدة النثر مجموعة ـ أرواح شاغرة ـ وما زال من المبدعين في الانتاج الادبي ٠



قصة : حسين خمري

طلقات النار تنطلق من المعسكر المقابل ٠٠٠ الصحراء ترتعش ٠٠ في أركان الجو البعيدة أنغام ناي حزين ٠ الجيشان متقابلان ، كل واحد يستعد للوثوب على الاخر وتباشير الصبح بدأت تلوح في الافق البعيد ٠٠٠ كل واحد يتحرش بالاخر في انتظار نهار جديد ويوم جديد ٠٠ الرصاص يدفع أمامه الظلمة ويحيلها الى جحيم ٠ سرت وشوشة في المعسكر وبدأ الجيشان يقتربان من بعضهما ٠ المسافة بينهما تتقلص والهوة تلتحم ٠٠ معركة دامية ستجري على بساط الرمل في صباح مشرق جميل ٠ نسيم الصبح المحمل برائحة الارض الندية يبعث في الاعماق نشوة لا تعادل ، تشد كل فرد اليها شدا كأم رؤوم ترضعه من باطنها ، تأويه الى حضنها ٠٠٠ الطلقات تمزق السكون ، تمزق الظلام ٠٠ أصبح الصمت رداء مهلهلا وتحول الليل الى رقعة بألف عين وعين ، كأن كل شيء يشع ويثرثر ٠ الارواح تتناجى تتماسك ، تتوحد في قوة عجيبة ٠٠ القلوب تدق كأنها طبول مؤذنة بالرحيل الى المعركة التي أوشكت أن تدور رحاها في تلك البقعة النائية ٠

ياله من موت مثالي !! الانسان يموت كبطل من أبطال السينما ، يدخل الى العالم الاخر بدون جواز مرور على جسر رفيع كأنه يتم حلما رائعا بدأه في حياته السابقة انعدمت الحواجز وفرغت الاذهان من كل صورة الا صورة الموت ٠٠ القلوب خاوية من أية عاطفة ٠٠ ربما كان هذا أكبر رد على الموت ، رد عكسي ٠ الموت على السرير بطيء وممل ، الموت بالانتحار عملية هروبية وجبن ، لكن هذه المرة – هذه المرة فقط – سيجيب الموت بنعم كل من أراد ودون أي استثناء سيلبي كل الرغبات ٠٠٠ تحول الميدان الى رقعة شطرنج تتحرك بيادقه غير مقيدة بأي قانون الجواسيس – المتبادلة – كانت قد أنهت مهمتها من زمان ومهدت للمعركة ٠٠ أسرارها أصبحت أوضح من الاخبار المنشورة على أعمدة الصحف ، انتحرت الحقيقة وصلبت على أعمدة نشرات الاخبار ، وربما تحولت الاخبار المنشورة الى أسرار لانها أصبحت بلا دلالة ، بلا لون الكل ينتظر الجولة النهائية وما ستسفر عنه ، الصبح بلا شك يحمل في طياته مفاجآت ، الحركة تقتحم زوايا الخيام المضروبة في الصحراء والجلبة تملا المكان ٠٠ كان كل واحد يستعد بفرحة طفل للموت كأنه ذاهب الى حفلة رقص ٠ شبح الموت يتضاءل ، يتلاشى ٠٠ يصير لعبة

ولهوا مثل سائر اللعب الاخرى ٠٠ لافرق في تلك اللحظات بين الموت والرقص ولعب الكرة ٠٠ انها اللحظة الوحيدة التي تنمحي فيها الفروق وتتساوى فيها النفوس اذ يعيش كل واحد اللحظة (التعادلية) ٠٠ الطبول تدق وأبواق النفير تعلن الهجمة الفاصلة ٠٠ الليوث ٠٠ الكواسر ٠٠

ساعة المعركة تدق وأصبح لا مناص من الخوض فيها والادلاء بالدلو ٠٠ الجيشان يزحفان ، يتقدمان ببطء ، يتراشقان بالرصاص كأنهما يتناجيان أو يداعبان بعضهما البعض في انتظار الضربة القاضية ٠٠ الجيش في حاجة الى مزيد من التنظيم ، التكتيك قبل المعركة والحرب خداع الصيحات تتعالى والاصداء تتجاوب بعيدا (الله أكبر ٠٠ الله أكبر !! الجهاد في سبيل الله !) ايات من القرآن تزرع الحماس في النفوس وتلهب الهمم ، تحثها على الجهاد ٠

الضابط سليم في محاولة جادة لفتح خط جديد وجبهة جديدة ، كان ينوي أن يتسلل الى عمق جيش العدو ٠٠ يتقدم بأسلوب ذكي ، وراءه كوكبة من المدرعين ٠ ضباب الصبح يحجب كل شيء ٠٠ الضباب يمتصه ويغيبه عن الانظار ، يخترق كل مسامه ويذوب فيه ، جسمه هو الاخر ضبابي ، كانت عيونه المتقدة تدور كأنها تبحث عن شيء ٠٠٠

(سليم) يتقدم يتوغل حجاب الضباب كان يخفي عنه الرؤية يخفي وراءه المجهول ٠٠٠ أصوات جنوده تأتيه ضعيفة كأنها قادمة من أرض ثانية ٠٠ صخبهم يعلو كأنهم قبيلة من الجن !! أصبح يعيش حلما رائعا ٠٠ غريبا ٠٠ واختلط الحلم بالواقع والحقيقة بالخيال ٠ كان جو المعركة قد صحا وعاد السكون يشمل المنطقة من جديد يشبه السكون الذي سبق العاصفة ٠ المعسكر المقابل كان يبدو لسليم كأنه سرابي ، كلما تقدم منه ابتعد أو انحسر ٠٠ اصبعه على الزناد ، يترقب ٠٠ كل شيء محتمل الحرب ليست شربة ماء ولا صلاة آمنة في مسجد عظيم ٠٠٠ قد تأتي الطعنة من الخلف وقد تأتي من الجنب ٠٠ كل شيء محتمل ٠٠

خطوة الى الامام ٠٠ خطوتين ٠٠ ثلاث ٠٠ الرؤية تتضح أكثر ، أكثر ٠٠ مزيدا من الوضوح ، الستار يرتفع ٠٠ أمامه جندي قابع ، في حالة تأهب ٠٠ يطلق عليه النار ، طلقة ٠٠ ثانية ٠٠ ثالثة ٠ أفرغ في صدره رصاصاته التسع ٠٠٠ سلاحه في يده ثقيل ، ذراعه مشلولة ٠٠ الرشاش يسقط منه ٠٠٠ ـ الله أكبر ! الله أكبر !! ـ أصوات جنوده من حوله تعلو وترتفع ٠٠ هو يقف كالصنم ٠٠ كالتمثال الجامد ٠٠ عيونه فوسفورية بلورية ، لا تطرف ، تحدق في شيء غير منظور ٠٠ الدم ٠٠ الدم ٠٠٠ (طهر يالمطهر ٠٠ عيطوا لعمته ٠٠ عيطوا لخالته ٠٠) الخاتن يقطع تلك الجلدة الرفيعة ، الدم يتفجر ٠٠ الله أكبر يطغى على صوت المغنيات « طهر يا لمطهر » الرصاص يطغى صوته على صوت نقر الدفوف ٠٠ دوي القنابل يحيل المنطقة الى جو صاخب ومجال ممغنط ألسنة اللهب تندلع ، الجو يصطبغ بلون أحمر قان ٠٠٠ الليلة مضيئة بالاف الفوانيس الصغيرة ، الليلة عرس الموت ، سيعربد ويغني على أنغام الرصاص أغنية النصر ٠٠ الليلة تشبه ليلة القدر في وضاءتها ٠٠ ليلة لا يجود الدهر بمثلها في الف عام ، انها ليلة مباركة ٠٠٠

الاصوات تأتيه بعيدة ٠٠ الزغاريد ترتفع وتعلو والخاتن يداعب وجنتيه بأنامله قبل أن يسيل دمه ٠٠ لحظات لم ير فيها شيئا ٠٠ الدنيا مسودة في ناظريه ٠٠ هذه الليلة انتهت بنهاية سعيدة ٠ الدم ينز من كل صدره ، الخاتن هو الاخر كان يتربص به ، أمه تضمه الى صدرها وتلعن هذه العادة السيئة ٠٠ السحب تنقشع والضوء يقتحم ٠٠ المكان أماه !٠٠ ختام سعيد لرحلة طويلة ، سفرة طالت وامتدت في شرايينها الالام والعذابات الموحشة القاتلة ٠٠ تلك الصحراء النائية تحولت الى شبه قاعة فسيحة الارجاء كتلك التي ختنوه فيها تماما ٠٠٠ لم تكن هذه المرة زغاريد النساء ، كان الرصاص يزغرد عاليا في نشوة عارمة ٠٠ لم يعد طفلا مثلما كان ٠٠ هو الان عملاق ٠٠ يشبه بطلا أسطوريا يقهر الظلام ، الظلم الموت نفسه ٠٠٠ تداخلت في ذهنه المرئيات ، وأصبح يرى جنوده تماما كالرجال الذين حضروا حفل ختانه ٠٠ الدم ٠٠٠ رائحة الدم تعبق أنفه ٠٠ الرمل يستقبلها بشوق ظامىء غير محدود ٠ حدق في صدره الملطخ بالدم وهوى كتمثال ضخم ٠٠٠ راية نصر تنصب في الخلاء الموحش كوسام يغرس في الرمال سقط ٠٠٠ وطلع الفجر ٠

الامضاء : حسين خمري

نشيد على مرفأ الجراح

ولد الشاعر عياش في قرية من قرى - الحضنة - .. وبعد عامين من ولادته استشهد والده، قضى دراسته متنقلا مابين مدينتي - نقارس - و - بريكة - بولاية - الاوراس - ومدينة - شرشال - والجزائر العاصمة حيث قضى دراسته الثانوية في ثانوية - عبان رمضان - والتربوية في - المعهد التكنولوجي - بوذريعة - وهو الان يدرس اللغة العربية في مدينة - أدرارية - في نواحي العاصمة الى جانب كونه عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.

شعر: عياش يحياوي

يارحلة الاشواق والابحار
ياسكرة الازمات في عمر الهوى
ماذا أقول ... وفي دمي شاخ الاسى
زيتون أفراحي تثائب وانحنى

مليون عاما والسنابل في يدي
مليون عام والسواد مشانق
وزوابع الايام تخنق مزهري
الويل للايام من غضبي ومن

الويل للمثل التي عايشتها
أنا في دروب العمر مغفل الجوى
أنا أن تعبت فللجذور براعم
غنيت للاطفال للحلم الذي
غنيت ... والغثيان يلهث في دمي

يا ضيعة الاحزان والاسفار
يا أيها النغم الشريد الساري
والدمع في حلقي وفي قيثاري
كمدا، وجف الشعر من مزماري

عطشى ... ونار القحط تأكل ناري
تردى على أسوارها أزهاري
وتبيح أحرامي وقدس ذماري
سخطي وأنوائي ومن اعصاري

لا يزهر الالهام في الاقذار
وعلى شفاهي نغمة استكباري
ممتدة عبر امتداد أواري
عشقت مداه مواجد الامطار
شرها .. وسيفي في يد الاقدار ... !

□ ★ □

مسودة كل الوجوه لئيمة
وتناثرت كالبؤس خضر كواكبي
أنا ما نويت بأن أعيش فردا
يغتالني صدأ الحماقة وانحني
يغتالني شبق العيون .. فينتشي

كل المعاني .. ان خبت أقماري
بيد المساء حزينة الاسوار
هرم الماسي .. باكي الاسفار
في عالم متسكع الاوطار
شجر الاسى في سدفة الابحار

أنا يا مراسي الفجر ما اخضلت على أرنو ... فتصفعني العيون ... وأختفي
سميت ـ ما اخترت التشرد ـ شاعر ضيعت في سفر المواجد صبوتي

شفتي اللحون ، ولا اهتدت أطياري فيلاك عرضي خلف الف ستار
والثلج مصلوب على آثاري ومن الضباب صنعت كل فخاري

□ ★ □

فرسي على همام الشموخ محمحم لن يسكر الشبق الاثيم ماثري
تغنى مسافات التعهر قصة وتجود ... تمطر بالمباهج غيمة
فتموج في صحو الربيع سنابلي

وزوابعي ممتدة المشوار ان الابي مكفكف للعار
حمقاء ... يلفظها فم الاقرار خضراء تهوى مرفأ الانوار
طربا ... وتزهر رغبة الاشعار

بريكة ـ الاوراس :

شخصيات ادبية وفكرية

● د . أبو العيد دودو

ان لابي العيد دودو دورا كبيرا في الادب الجزائري اذ قدم أعمالا كثيرة في النقد والقصة والمسرح والترجمات الادبية من الاداب الاجنبية .. ويعد من رواد القصة القصيرة في الجزائر صدر له في القصة القصيرة ـ بحيرة الزيتون ـ ١٩٦٧ و ـ دار الثلاثة وقصص أخرى ـ ١٩٧١ كما صدر له في المسرح ـ التراب ـ ١٩٦٧ و ـ البشير ـ وله في النقد والترجمات مجموعة من الكتب .

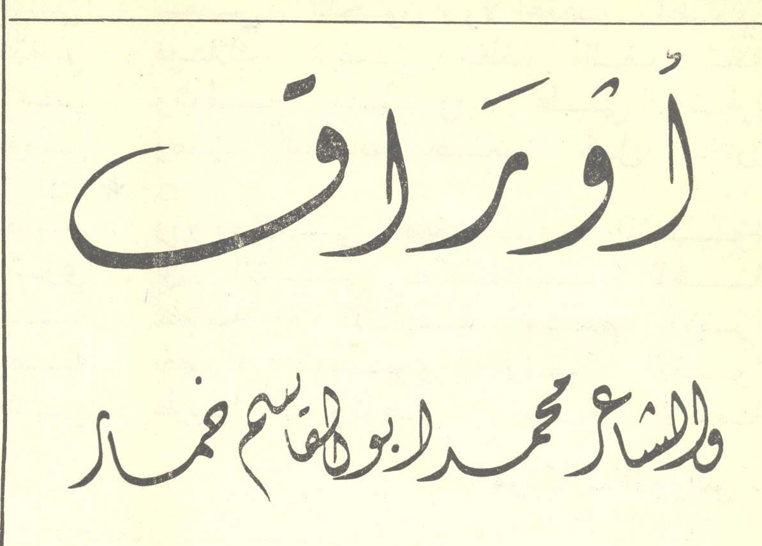
● عبد الحميد بن باديس

يعد الامام عبد الحميد بن باديس علما من أعلام الفكر والاصلاح في الجزائر .. ولد في قسنطينة عام ١٨٨٩ م .. سافر الى تونس ١٩٠٨ لمتابعة دراسته عاد الى الجزائر عام ١٩١٣ ، ثم سافر الى السعودية وهناك تعرف على ـ البشير الابراهيمي ـ ومن خلال وجوده اطلع على أحوال العرب والمسلمين .. ولما عاد الى الجزائر .. بدأ نشاطه الاصلاحي والسياسي من خلال معهده ، وصحافته في ـ المنتقد ـ والبصائر ثم في ـ جمعية العلماء المسلمين ـ التي ترأسها .. ولما توفي عام ١٩٤٠ في السادس عشر من أفريل .. خرجت قسنطينة لتودع الرجل الثائر المفكر المصلح .. ترك لنا مجموعة من الاعمال الفكرية :

١ ـ تفسير القرآن الكريم
٢ ـ شرح ـ موطأ الامام مالك ـ
٣ ـ مقالات وخطب ورسائل في موضوعات سياسية واجتماعية
٤ ـ تراجم لبعض الشخصيات الاسلامية والعربية
٥ ـ بعض المقطوعات الشعرية .

● مالك حداد

ولد الشاعر والروائي مالك حداد في قسنطينة عام ١٩٢٧ .. وفيها تلقى علومه الابتدائية والثانوية .. وكان متفوقا .. مجيدا للغة الفرنسية بحكم الاستعمار ويسافر بعدها الى فرنسا لمتابعة دراسته الجامعية ، ومن مدرسة ـ اكس . ان . بروفانس ـ ينال اجازة الحقوق ليعود الى وطنه .. ويشاهد مجازر الدم ، وأخذ يشارك في الصحافة الوطنية ، ولما كانت ثورة نوفمبر ـ ١٩٥٤ ـ كان عضوا فيها .. ونفاه الفرنسيون ، فغادر الجزائر متجها الى اوربا ويشارك في الصحافة الاجنبية مدافعا عن عروبة الجزائر .. ولما تم النصر ونالت الجزائر الاستقلال عاد الى بلاده ، وفي قسنطينة يتابع رحلته الادبية في جريدة النصر .. وفي عام ١٩٦٨ عين مديرا للثقافة بوزارة الثقافة والاعلام بالاضافة الى اشرافه على مجلة ـ امال ـ كما انتخب أمينا عاما لاتحاد الكتاب الجزائريين .



سعيد قندقجي

دراساتي هذه عن ديوان « أوراق » للشاعر الجزائري محمد ابو القاسم خمار . كانت لما قام بيني وبين شعر هذا الشاعر من انسجام انفعالي عاطفي اذ استطعت أن أجد فيه ظلالا بعيدة المدى من نفسي ، وأن أمتطي جناحه الى افاقه التي كثيرا ما تلتقي بآفاقي فاذا نحن رفيقا بساط سحري واحد وصديقا احتراق متشابه ، بالرغم

من انني لا اعرف شيئا من قريب او من بعيد عن الشاعر ، وليس عندي مايدلني على ملامحه أو خطوط حياته العريضة ، ولكن يكفيني أن يكون بين يدي ديوانه حتى يتم هذا الانسجام الانفعالي العاطفي بيني وبينه .

وقد وجدت نفسي وجها لوجه أمام لوحات شعرية ثلاث تعرض نفسها علي وتبرز بمفاتنها وحيوتها وانفعالها ، وتخطر أمام عيني لتلوح لي بأبعادها وأطرها ، ولعل أهم ما تتصف به هذه اللوحات هو تلك الالوان الغضبى الثائرة اللاهبة المحترقة القاتمة في نقطة المركز المنفرجة شيئا فشيئا كلما ابتعدت عن المحور لتصبح في أطرافها زاهية متلألئة بالامل عابقة ببخور المستقبل الذي يتراقص بين أهداب الشاعر ليرسم الاشراق الذي تنتظره الاجيال العربية .

والشاعر الحق هو العين النافذة التي تخترق الحجب وتمزق الاستار لتعانق من وراء المجهول قدر الشعب المؤمن وانتصار المواكب الزاحفة الى النور رغم كل العقبات والصعوبات وسجف الليل ، ومن هذه النقطة بالذات أمن أبو القاسم خمار بانتصار الثورة الجزائرية الخالدة وهي في أول مراحلها ، وبقي ايمانه ينمو على الايام ويشتد عمقه ويتأكد في ضلوعه تصميمه ، لانه يعرف غضبة الشعب الجزائري العربي البطل فهو اذا ثار يهزأ بالموت ويسخر بالجلادين وتجار الحروب وفي ذلك يقول أبو القاسم خمار :

ثرنا وكان الليل معتكرا ونار الغيظ تزفر
والدرب أشلاء مبعثرة واحقاد .. تزمجر
للانتقام المر للتطهير .. للفجر المظفر
أرواحنا ودماؤنا تفديك يا شمس التحرر
الشعب بركان يدك الراسيات اذا تفجر

الشعب اعصار الوجـود اذا تمـرد لا يفكـر
ياويح مـن زلت قدمـاه فينـا أو تعثـر
ياويـح اعداء الشعـوب اذا الشعـوب مضـت لتثأر
سيري عروبتنا علـى اشراق وحدتنـا المـؤزر
سـيري فـان مبادىء الاحرار لـن ترضى التقهقر
وهج الدمـاء يفـور من أعراقنـا شررا وينفـر
تحيـا الجزائـر حرة عربيـة والله اكبـر

بهذا الايمان كان يغني الشاعر تطلعات امته الى النصر والمستقبل المشرق الوضاح الذي نذرت من اجله الارواح وبذلت الدماء وربما لم يستطع الحرف الشعري مهما اوتي من قوة التدفق اللاهب أن يصل الى روعة العطاء المقدس وعظمة البطولة ، بل يمكننـا أن نتسـاءل هنا ما قيمـة هذا الحرف الشعري عندما تكتب الدماء سطور الملاحـم وينسج الرصاص انشودة الاسطورة ، ولكي يشارك امته في ساحاتها ونضالها فعلا يجب أن تكون كل لفظة مـن نسيجه طلقة مدفع أو قذيفة دمار على الاعداء ، وفي ذلك يقول خمار :

وتركـت الغنـاء شيئـا فشيئـا
لـم يعد ذلـك الصـداح فتيـا
ايـن منـي قصيـدة تتلظـى
من قصيـد يفيـض جمـرا ابيـا
ايـن منـي اغنيـة لليالـي
من هتاف غطـى الربوع دويـا
اين مني وفـي الجزائـر آهـا
ت تهـز القلـوب هـزا قويـا
ياهزالي اذا رفعت مع الثوار صوتي ولم يكن مدفعيا

واذا لم يكن الشاعر مرآة الامة في كل امالها وتطلعاتها وانفعالاتها وما يدور في اعماقها من نوازع ومثل فليس جديرا أن يحمل رسالة القلم ، ومسؤولية شرف الكلمـة المجنحة ، بل يجب أن يكون الشاعر فعالا لا منفعلا قائدا لا تابعا ، وان كانت هذه التبعية مشرفة له لان النضال لا يعرف اولا واخرا ، وانما يحضن في جنبيه كل القوى الزاحفة ، ولكن دور الشعر هو أن يكـون حافزا للهمم ، دافعا للنصر ، شاحذا للايمان ، مثيرا للعزائم والهمم ، كاشفا عن روعة المستقبل عاقدا اكاليل الغار على رؤوس الابطال ، وقد كان أبو القاسم خمار ، وترا بين اوتار القيثارة الصداحة ، ونغما عذبا بين انغـام الملحمة وقد كانت تأتيه بعض ساعات يكفر فيها بالشعر لانه يريد أن يكون جندي المعركة مع المغاوير في الجبال مع حاملي مشاعل الدماء ليزيحوا ليل الاستعمار البغيض ذي الوجه الاسود والعيون الحاقدة ، فقد ملت الاسماع القصائد الطوال والخطب الحماسية وترديد شعارات البطولة ، واشتاقت الى الصمت لتسمع الرعود والعواصف ولعلعة الرصاص فيقول :

أنـا لا اغرد للنضـال ولا اغنـي للرجولة
ملت مسامعنا وعاف الشعر ترديد البطولة
ياليت اعصارا يمزق من يدي وطني طبوله
وكفى البرية ان شعبي لم يكن منذ الطفولة
لن النشيد اذا الجموع مضت يفتتهـا الالم
لن الغناء العذب فـي ساح مشوهـة الرمم
لن الهتـاف وأمتـي لمـا تزل بـين الحمـم
الصمت ابلغ في الوغى والنصر للزحف الاصم

وهذه كلمة حق اريدبها حق لوجه الله والعروبة والنصر ولعلنا نفيد من هذا المنطق في معركتنا القادمة علـى بطاح الجليل والقدس والخليل ولعلنا نصمت لنسمع زئير العاصفة ورعود فتح ونداء الفداء حتى ينجلي الليل عن صباح مشرق وضاح ولا شك أنك قد عرفت اللوحـة الاولى من اللوحات الثلاث في ديوان ابي القاسم خمار وهي لوحة الكفاح المستمر ضد الاستعمار في الجزائـر ولوحة الثورة التي تخضب اكليلها بدم مليون ونصف من الشهداء ٠

فاذا ما انتقلت الى اللوحة الثانية وجدت امام عيني اطيافا وجدانية حائرة ينتقل فيها الشاعر من نفسه الى قلبه وعواطفه واحاسيسه الى دروبـه المتألقـة بالبوح العابقة بالحب المنتشر بعد الضياع عن الشاطىء الامين وهو في ذلك كله قلق شارد يريد أن يجد الجواب لكـل ما يدور في مخيلته من اسئلة ، ولكن كيف ؟ وماهو السبيل

الى ذلك ؟ فهو محب ، مفتون بمن يحب ولكنه ضائع يحاول أن يجد ساحرته في الطريق بعد أن هام وهام كالتائه ولكنه لم يجد الا الخيبة والالم يقول :

وهمت كالتائه في الطريق
اسألها عليك
الوب في حذر
تحت سماء رحبة زرقاء
كأنها رداء من حرير
كقلبك الكبير
ترمقني تدفعني اليك
تسأل في براءة عليك
كلفتة من ولد صغير
تملأني سعادة تغمرني
عبير
فأسرع الخطا
كم اسكرت مسارعنا خطاك
لا بد أن اراك
قد قيل لي ساحرتي تمر من هناك
تمر قرب دارنا تخطر
كالملاك
يا أنت يا ساحرتي
متى متى أراك

ويتطلع الى أوراقها البيضاء المنتثرة في غرفته بريئة كالطفولة ، ملهمة كالوحي رائعة كالسحر ، مشعشعة كمنابع العطر ويقترب منها وبحذر يلمسها بيده خشية أن تتشوه الصورة الشعرية ولكنه يسألها فتسكت ويلح عليها فتلح في الصمت فيقول :

وسألتها لكنها صمتت
يا عمق ما صادفت في دهري
لو أنها رسمت برونقها
احلى الاماني لا ينتهي عمري

فهو ضائع بين التفتيش عن الحقيقة والرغبة في المجهول لا لشيء الا لانه شاعر تنهار القيم عنده متى وصل اليها ، ويظمأ الى النبع حتى اذا وصله احس بالظمأ من جديد الى نبع اخر وهكذا تتولد القيم وتتفرع النوازع في نفس الانسان الفنان ويبقى حائرا يسأل عن جواب فيقول :

ظمآن لا يعرفه ارتواء
حرمته منابع الضياء
قطفت كل زهرة من دربه
ابعدت عنه نغمات حبه
ولم يزل ينشد للسراب
يسأل كالحائر عن جواب

ولن يجد الجواب ابدا لانه ما من شيء اروع في حياة الفنان من هذا القلق الخلاق واللهفة الدائمة الى ما وراء المحسوس .

وأبو القاسم خمار لم يكن ليقتصر بوجدانياته على حبه ولبانات قلبه بل تشعبت مسالكه وانطلقت من قوقعة نفسه ليحدثنا عن وجدانيات ارحب وافاق اوسع فقد تحدث عن اللغة العربية ومكانتها في نفسه وما اصابها في الجزائر من طعنات في ظهرها ومؤامرات عليها ، وهي لغة الخلود والقداسة لغة التراتيل والاهازيج ، وقد ضحى من اجلها الشهداء ، وازهقت في سبيلها الارواح ، ومع ذلك فانك تجد في الجزائر من ينظر الى هذه اللغة نظرة الاستخفاف ويتعلق بفتات الغرباء ويلبس الثوب مستعارا والشاعر مؤمن بأن لغة اية امة من الامم رمز اصالتها ، وعنوان حياتها فيقول :

ثم ها انني اخاطب نفسي
بنشيد ابكي على احزانه
بنشيد من اجله كم شهيد
بذل الروح هاتفا لحسانه
روعة الضاد ياقداسة حرف
زانه الله من سنا قرآنه

يفخر المجد عندما يتجلى
ويعيش الخلود في اركانه
أنا للضاد ما حييت كئيبا
انغنى بشوقه وحنانه
بالاهازيج من صدى عربانه
بالتراتيل من ذرى عدنانه
فاذا افتر ثغره بربانا
باسما ذبت في رؤى اوزانه
ياحبيبا لولاه ما قلت شعري
لا شفى الدهر غله بطعانه
ان من عانق الحياة ضعيفا
وانما بالفتات غير لبانه
والذي يملأ الربوع صداحا
بقصيد غريبة عن بيانه
والذي سار دربه يتعالى
عن ضحايا الشقاء من خلانه
ان من كان ثوبه مستعارا
كان عارا على جبين زمانه
كلما حلت السقام بشعب
وسرت بين قلبه ولسانه
فهو ان عاش كان مسخا
ورزءا واذا مات فك من اكفانه

وهذا وتر رائع من اوتار ديوانه ، ونغمة مقدسة من نغمات اوراقه وجدير بالشاعر أن يتخطى الزمن فيربط الماضي بالمستقبل ويشد اواصر النضال الى النضال في سبيل المثل العليا والاهداف والاماني الكبرى والبناء القومي على أساس من الصدق والاحساس المتوتر ضد الغزو ايا كان نوعه ومهما كانت صوره .

ويحلق الشاعر بعد ذلك في افق الانسان على مستوى الانسانية جمعاء ، وتصغر الكرة الارضية في عينيه فيراها ماثلة أمامه ويرى فيها المآسي والجشع والطغيان والاستعمار بأبشع صوره والقرصنة بأشد انواعها همجية وتسلطا فيتألم ويشعر بالاسى والحزن ، وتتجاوب اصداء نفسه كفرد من أفراد شعب مناضل مع اصداء الابطال في الفيتنام فيصب لعنته على مدعي الحرية ومزيفي المبادىء الانسانية وخانقي حناجر الشعوب فيقول :

في قلب الهند الصينية
في قلب شمال الفيتنام
اشباح الهندي الاحمر
تتخطى ظل الاعوام
تتحدى خلجان الموتى
هدسن والاسكا وسيام
أشباح في لون اصفر
كقشور الموز المشوية
تتراقص تلمع منثورة
كغلال الارز المزرية
اللعنة حلت يا سام
امريكا ضاع السكان
الوان تتلو الوان
كقشور الفول المرمية
في قرية هندي ثائر
امريكا اين السكان
اعداء الاحمر والاصفر
اعداء الاسود والاسمر
اللعنة حلت ابدية
كولومبس نام
والليل ظلام
في ارض الهند الصينية
في قبضة شعب الفتنام

فقد بشر الشاعر بانتصار الحق على الباطل واندحار الطغيان امام الزنود الناذرة والجباه التي كللها عرق التصدي للموت فلألأتها الشمس لتكون حبات در في عنق الحرية التي تعرفها الشعوب المناضلة وتقدرها المواكب الهادرة وتتطلع الى عناقها الجحافل المؤمنة ففيتنام سوف

ترفع لواء الاستقلال وترمي المجرمين كالجيف النتنة في مستنقع اللعنة الابدية واعداء الشعوب ابدا الى هزيمة وان طال امد العدوان واستمر ليل القرصنة البغيض والنصر ابدا قدر الشعوب المتفجرة كالبراكين ، الهادرة كالعواصف على دروب النور ٠

ومن هذا الايمان ننطلق مع الشاعر الى لوحته الثالثة الى فلسطين الجرح النازف والتراب الحزين والمأساة الانسانية المخزية ، ولكن الشاعر لم يذرف الدموع ، ولم يندب ، ولم يشق الثياب ، بل تمرد على هذه الاجنحة المتكسرة ، وثار في وجه المعولين الضعفاء لانه أفادمنتجربة شعبه في الجزائر فعرف الطريق الى النصر وادرك أن الليل لا يزول الا بفجر دام وأن باب الحرية لا يدق الا بالايدي المضرجة بالنجيع ، وأما النحيب والعويل والالم المنهزم ، فلن ترد باغيا ولن تحرر ارضا ، واما المتاجرة بالخطب الرنانة والقصائد المنتفخة الاوداج فلن تشفي جرحا ولن تحقق نصرا وان الشعب وحده القادر على تحقيق الامال اذا اراد وعلى تغيير مجرى التاريخ ، وعلى كشف هؤلاء المتاجرين والسماسرة ، فيقول الشاعر :

خلف الرياح يصرخون تائهين
من يشتري ، من يشتري عشرين
قصيدة للبيع يالعار
مأساتنا نكبتنا في فلسطين
صياح يعكر البطاح والكفاح
يخدر الصبا ٠٠٠٠ ح
يزلزل الاحلام والافراح
حماسة كانها نباح
قصيدة للبيع يا تجار
أما لديكم غيرها للبيع
عباءة من نار ، غبار
أما لديكم غيرها اشعار
يا للعار
لكنكم ستدبرون خاسئين
فشعبنا الزاحف لا يطيق الانتظار
سيسحق العشرين والسبعين
ويقتل السمسار
والمجد والخلود للثوار

فهو لا يؤمن الا بالنضال الدامي والثورة العاتية ، هكذا علمته الايام وهكذا ثقفته التجارب وفرض عليه نضال الجزائر هذا المنطلق وهو خير منطلق لمن أراد أن يطهر أرضه من أقدام الدخلاء ودنس المستعمرين ، ولذلك تراه يتطلع حوله ويستشرف الابعاد عله يجد خيطا من رجاء وشعاعا من امل في قضية فلسطين ، وما هي في الحقيقة الا قضية انساننا العربي الذي شاقه أن يخرج من تلك المأساة ولكن كيف يكون ذلك وهو لم يعد عدته ولم يهيء نفسه ، ويظل هذا السؤال الضعيف المنهزم ـ متى نعود ـ يتردد على الشفاه الكسيحة ٠ وتطوف به الاحداق المتآكلة ، وتحتضنه القلوب المهترئة ويتاجر به المتاجرون والراقصون على الحبال ، وطريق العودة ومناح لكل ذي عينين ، فحمامات الدم خير وسيلة لغسل ادمغة القراصنة وتقذفهم الى الجحيم ولذلك عندما ولدت العاصفة من رحم اليأس والليالي ومزق جدار الصمت هلل الشاعر لها ونثر البخور على اقدام ابطالها وصلى في محاريب نضالها فيقول :

يا أمتي لا تسألي لاهفة
واقفة حائرة واجفة
متى نعود الى مرابعنا
الى ظلال كرومنا الوارفة
لا تسألينا اننا عندها
طلائع الفتح بها زاحفة
اخرجنا من ارضنا عاصف
ولن نعود لها سوى عاصفة

والشاعر لا يسمح لنفسه أن يتصور وجود اسرائيل في ارضنا العربية فكيف بانتصارها وامتداد عمرها واتساع رقعتها على حساب اصحاب الحق الشرعيين الذي تلقفتهم ايدي الرياح واحتضنتهم الصحاري برمالها وشمسها وجدبها وخيامها الجريحة ، انه لعار ابدي اذا لم نصح من غفوتنا وصفحة سوداء في تاريخ وجودنا لن

تزول حتـى تزول اسرائيل واذا كانت الظروف قد فرضت هذا العار فهل نرضى بعار جديد يسجل علينا لا ابدا

لن نرتضي عارا جديدا في فلسطين السليبة
لا لن يداس المسجد الاقصى واردننا الحبيبة
وثرى دمشق معاقل الاحرار جبهتنا المهيبة
كالسيل تقتحم الجحيم كتيبة تتلو كتيبة
ومن المحيط الى الخليـج دماؤنا حمم رهيبة
ارواحنا ان لم نعش للنصر ندفعها ضريبة

ومن اجل هذا النصر يدعو الشعب الى السلاح والبذل والتضحية وينادي المواكب لكي تسير في الزحف المقدس وتستلهم الثارات الحمراء وتزلزل الدنيا وتفجر الارض لتبلغ مداها وتصل غاياتها فيقول :

انا هنا من غضبة الاوراس من قمـم الكفاح
من قبلة الشهداء من قلب الملاحـم والجراح
يا شعبنا الجبار يا زاحفا تـحـرك كالرياح
ندعوك باسم ترابنا الغالي الى حمل السلاح
قسما بنقمة شعبنا بالجيش يكتسح الخلودا
باللاجئات عيونهن الثار يسألنـا الصمودا
بالارض بالشهداء بالاحرار لن ندع اليهودا
حتى ولو جاءتهـم الاقـدار تملأهـم جنودا
قسما بعزتنا سندحرهم سنمحقهم حشودا
وسنزرع الدنيا ـ كما كنا عمالقة ـ بنودا

وما اعظم ايمان الشاعر وما اجمله ، انه ثورة في نفسه واعصار في كيانه ، يريد أن يحطم ، يزلزل ، يقلب الارض يفجر البراكين يريد أن يغير معالم الوجود ليخلق وجودا مشرقا ، انه يحقد على الاستعمار فيتصوره اشلاء بين يديه ويحيق على الليل فيزرع في جبهته الشمس ، ويريد للامة العربية أن تحافظ على مكانتها ومالها من عزة ومجد اثيل وحضارة شامخة ، فيقسم ليدحرن الاعداء وليمحقهـم ويجعلنهم كالعصف المأكول ، وفي سبيل ذلـك يحدو المجاهدين الابطال ويغني جنود النزال والفداء في الميادين ويعيش معهم ماضيهم الرائع وملامحهم الغراء لعله يثير فيهم النخوة العربية ، والتصميم على النصر ، ويعيش معهم حاضرهم ليكونوا على مستوى المسؤولية ، وليكونوا اشبال الميامين الغر والاسود المغاوير الذين دوخوا الدنيا بأساطير بطولاتهم ، فيخرج الشاعر اليهم ويلقاهم في خنادقهم ويناديهم

يا جنود النزال يا جحفل النصر ويا قلعة الفـدا والخلود
دمروا حطموا أغيروا أبيدوا مزقوا باللهيب قلب الحشود
يا جنود العروبة اليوم دوت صيحة الشعب ياسلاح الجنود
وتعالت من امسنا صرخات تسأل الثار هل حفظت عهودي
في دمشق الفيحاء من قمم الاوراس من مصر ثرى بورسعيد
من ربوع الفرات من مغربي الثائر من موطني العريض المديد
قد بدأنا وسوف لن تضع الحرب لدينـا الا ابر وليـد
يا جنود القتال يا فخر شعبي ايها الباعثون فجر الوجود

وانقشع الضباب وظهرت الارض بمشرديها الجدد وخيامها النازفة ومأساتها التي تخرز الخنجر في كـل قلب وتختبيء الامة من جديد وراء عار اسود تصرخ منـه ربوع سيناء والضفة الغربية وقلعة الجولان وقد لفها الليل ومزق كبدها الحزن ، وروعها الاستعمار بأنيابه وأظافره ووحشيته ونازيته ، وتغص الحناجر بالزفير ، وتشرق العيون بالدموع وتتلفت القلوب والافئدة ، اين الغضبة العربية واين الايمان بالنصر واين واين ولا من مجيب سوى الالم والجراح فيصب الشاعر جام غضبه على بني قومه في قصيدة ـ الموتوره ـ وهي من اروع قصائـد الديوان بلا منازع ، فقد صور فيها كل ما يعتلج في نفسه من الم وحقد ومرارة وهزيمة ونقمة وثورة ، وجعل مـن بطلة القصيدة واسمها ـ عائدة ـ رمز كل هذه العواطف المتفاعلة في كيانه ، المتطاولة في افاقه ، وقد نظرت عائدة حولها فلم تجد الا الشقاء والحرمان والهوان والتشرد والظلم بأقصى انواعه فصرخت

الام الشقـــاء
لماذا تحاربني يا زمـــان
لماذا اعيـــش

وتعود عائدة بذكرياتها الى أيام خلت يوم كانت تعيش امرة ناهية في بيتها الذي سلبه القراصنة يوم كانت كحلم راقص تلاعب الازهار وتغني كالاطيار وتسعد بالضيوف وتهدهد قطها ولعبتها ، وفجأة ثار القدر وقامت الزوابع الهائجة وانتشر الضباب الكثيف ، واسدل الظلام سدوله واصيب ابوها بشظية قاتلة فأكبت عليه تناديه وتبكيه ولكن والدها الذي يحمل كل كبرياء العروبة ينظر اليها بحزم واباء قائلا لها :

وداعا فتاتـــــي
ولا تجزعي ثم لا تجزعي
اخوك سيغدو رفيقا معي
لقد خاضها ثورة كالجحيم
الى أن رمتـــه سهـام اليهود
فلا تجزعـــــي
وقولي لعينيـك لا تدمعي
ولكن اذا صاح داعي الخلود
واشرق في الحي يوم الجهاد
فقومي لثارك ثار البلاد
وفكـــي الحـــداد
وحيـــي الذمـــم

وتمر الايام والسنون وتنتظر عائدة أن يصيح داعي الخلود للثأر ، للهيب للعودة ولكن مامن مجيب ، وتكفر بالانتظار والعبر ، وتثور بين جنبيها عواطف الغضب وتحمل صليبها على كتفيها وترفع صرختها بين يديها لترمي بها في وجوه العدا وهي تصرخ

أنا ناقمة
أنا يا أبي قادمة

ولكن ما الذي كان من أمرها ، وما ذا وراء هذه الثورة الجامحة من الثار والانتقام ، فلنستمع الى أبي القاسم خمار يلخص كل المأساة المروعة فيقول :

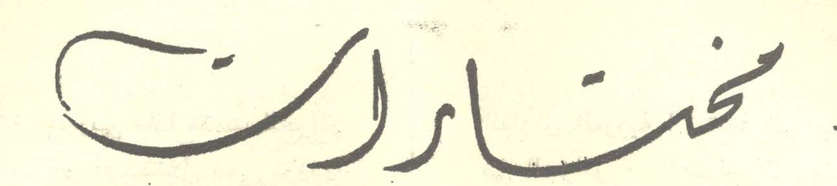
وعند الصخور
وراء الخيام وخلف الحدود
احاطت بها شلة من يهود
وفي لحظة اودعوها الحبال
بقلب كسير وثأر يئن
ولا مــن يحــن
ولا من يعي أو يحن
كأني بنا خشب لا رجال
تضيع على مضض عائدة
لتصبح في حانة مائدة
بـلا فائــدة
ولـم ننتقـم

وبهذه النغمة المأساوية ينهي ابو القاسم خمار ديوانه « أوراق » ، ولا شك انني لم اتعرض لكل قصائد الديوان فهناك اناشيد ومقطوعات يمكننا أن نضيفها الى هذه اللوحات الثلاث التي مر ذكرها في اول هذه الدراسة كنشيد الشباب ، والطيار الجزائري واذكريني يا دمشق والمتجهمون وفي هذه القصيدة نغمة جديدة وقف الشاعر فيها موقف الخصم والحكم ، فقاضى كل من حوله من بني قومه وشعبه اذ رآهم ضلوا سواء السبيل في التحاسد والبغضاء والتفرق واتباع الهوى بدلا من اتباع الهدى والعقل ، فحمل معول الهدم بيد وراية الاصلاح بيد اخرى وسار يدعو الناس الى الحب والتمسك بالفضائل والدفاع عن القومية والعروبة ، وتلك لعمر الله رسالة الشاعر في عهد السلام بعد أن ولى زمن الحرب ونالت البلاد حريتها واستقلالها ، وهو في ذلك طبيب يعرف الداء ويصف الدواء ويراقب مريضه لعله يجد طريقا الى الشفاء ٠

وأنت اخي القارىء لو اعدت النظر الى الديوان لعرفت أن الشاعر محافظ على الطريقة الكلاسيكية في شعره يتخذ القافية والوزن سبيلا له للتعبير عن مشاعره واحاسيسه في حين أنه يحاول التجديد في مضمونه وهو حتى في قصائده النثرية شاعر كلاسيكي لا يخرج عن التفعيلة ولا عن القافية وان كانت ملامح هذه القافية تغيب عن الوعي في خضم المضمون المنفصل المتواجح ٠ والمحافظة على

الكلاسيكية الى جانب التحديد في المعنى هو الطريق الوحيد في رأيي لابعاد الشعر العربي عن الجمود الذي يوصم به ٠ والاصول الكلاسيكية يمكنها أن تمدنا بأنواع منوعة من الالوان التعبيرية ، وهي لا تتقيد ببحور الخليل حسب ما يدعون وانما يمكننا نحن أن نطور فيها من خلال تفاعيلها لتعطينا اوزانا متناغمة منسجمة مع معطياتنا الشعورية وليس الجمود فيها ولكن الجمود فيمن لا يعرفوا كيف يتناولونها ٠ وقد أحصى احد الشعراء العرب وهو الشاعر السوري علي دمر ما يمكن أن تقدمه لنا هذه التفعيلات من اوزان فوجدها مائة وستة عشر وزنا وهي كافية لاعمق واوسع الافكار والمعاني والاحاسيس والانفعالات ٠

والى جانب كلاسيكية الشاعر نجد أنه ذو حساسية شعرية مرهفة صادقة لا تتخذ الصور طريقا وانما تتعمق الانفعال وتصدر عن عاطفة زئبقية تختلج وتضطرب وتؤمن وتكفر في سبيل الوصول الى القيم المثلى التي يريد الشاعر أن ينثرها ويعمق مجراها في التصوير ولا احب في النهاية الا أن احيي الشاعر واشد على يديه مهنئا وأطالب بالمزيد من هذه الملاحم المبدعة الخلاقة والى لقاء مع ديوان اخر ٠



شكوى من الدهر :

من شعر : حمود رمضان

ويلاه من هم يذيب جوانحي فكأنما في القلب جذوة نار
نفسي معذبة بهمسة شاعر ردمعي على رغم التجلد جار
حظي على متن النوائب راكب تمشي به لمحطة الاكدار
قد خانني دهري وتلك سجية للدهر مثل سجية الاشرار
هو دائما لي عابس متنكر حتى الطبيعة حسنها متوار
علام تلوم الدهر والله عادل وننسب للايام ما هو باطل
ونملأ وجه الارض رطبا ويابسا بكاء وهل تجدي الدموع الهواطل ؟
ونجزع للمكروه من كل حادث وما ذاك الا ماجوته الانامل

ملامح الحركة

الثقافية في الجزائر

هيئة التحرير

قبل البدء يتساءل المثقف العربي ماذا قدمت الجزائر خلال سبع عشرة سنة من عمر الاستقلال في ثورتها الثقافية ضمن الخط الثوري الاشتراكي ؟ ٠٠ في الحقيقة ٠٠ عندما يصل أحدنا الى الساحة الجزائرية ويرى بعينيه ذلك الوجه العربي الثائر في وجه الاستعمار الفرنسي مئة واثنين وثلاثين عاما ٠٠ هو ذاته بسمرته الابية حمل ثورة البناء ٠٠ ليس في الثورة الثقافية فقط وانما في الميدان الزراعي والاقتصادي ٠٠ ويهمنا أن نتحدث في أول الامر عن التعريب ٠٠ لان الجزائر دولة عربية ٠٠ ومن يعد الى ـ الميثاق الوطني ـ و ـ الدستور ـ فانه يجد تأكيد جبهة التحرير الوطني على سيادة اللغة العربية لكونها هي اللغة الوطنية ٠٠ وفي حزيران ١٩٧٧ مسحت كل الاعلانات بالاجنبية ، لتكحل عينيك بالخط العربي ٠٠ وفنونه ٠٠ في واجهات المحلات ٠٠ ثم صدر قرار اخر يقضي بتصحيح الاعلانات ٠٠ وكتابتها خالية من الاخطاء ٠٠ وحزب جبهة التحرير الوطني يعتبر الثورة الثقافية في طليعة العمل الوطني ، ويعود الفضل في عملية التعريب الى وجهات ثلاث ، الثورة الجزائرية ورجالها الذين دفعوا ضريبة النضال والحرية ، المعلمون المعارون من البلدان العربية الشقيقة الى جانب الهيئة التعليمية في الجزائر ٠٠ اهتمام المسؤولين والمواطن الجزائري بالتعريب ٠٠ لتظهر الشخصية الجزائرية في كيانها القومي الاصيل ٠

وكان للتعريب دور كبير في الثورة الثقافية ٠٠ ولعل الصحافة تأخذ دورا في العمل الثقافي ، ولذا يجدر بنا أن نتعرض للصحافة الوطنية ـ الصحف ـ المجلات ـ في الجزائر ٠٠ فالصحف التي تصدر الان :

١ ـ الشعب : وهي الجريدة الرئيسية التي تعرف بخطها القومي ٠٠ وتصدر في الجزائر العاصمة ٠

٢ ـ المجاهد : تصدر يوميا بالفرنسية ، وتصدر مجلة اسبوعية باللغة العربية وهي لسان حزب جبهة التحرير ٠

٣ ـ الجمهورية وتصدر في وهران ٠٠ أما موعد الصفحة الادبية فهو يوم الخميس ٠

٤ ـ النصر ٠٠ وتصدر يوميا باللغة العربية في قسنطينة

٥ ـ الجزائر الاحداث وهي تصدر بالفرنسية ، وتشتمل على موضوعات سياسية فكرية ثقافية ٠

أما المجلات فمنها ما هو متنوع المواد ٠٠ ومنها المجلات المختصة ، ولا بأس أن نتعرض لها :

١ ـ الجيش ، وهي مجلة تهتم بالقضايا السياسية والعربية وتصدر بالعربية والفرنسية ٠

٢ ـ الوحدة ، وتصدر عن الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية وهي فكرية ثقافية متعددة الموضوعات ٠٠ تطبع بالعربية والفرنسية ٠

٣ ـ الجزائرية : وهي مجلة ثقافية منوعة تصدر عن الاتحاد الوطني للمرأة الجزائرية وشرف على تحريرها القاصة زهور ونيسي ٠

١ ـ مجلة ـ أول نوفمبر ـ وهي مجلة جامعة تضم مجموعات شتى ٠

٥ ـ افاق عربية ، وهي مجلة فكرية ثقافية تعنى بشكل خاص بشؤون المغتربين الجزائريين ٠

٦ ـ الوان : وهي مجلة منوعة مصورة تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة ٠

٧ ـ امال : وهي مجلة أدبية متخصصة تهتم بأدب الشباب وتصدر عن وزارة الاعلام والثقافة ٠

٨ ـ الثقافة : وهي مجلة فكرية ثقافية ، تهتم بالدراسات أكثر من اهتمامها بالادب تصدر عن وزارة الثقافة والاعلام ٠

٩ ـ الاصالة وهي مجلة ثقافية فكرية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية ٠

١٠ ـ « مقيدش ، وطارق » مجلتان للاطفال ٠

هذا بالاضافة الى المجلات المحلية التي تصدر عن كليات الجامعات الجزائرية والثانويات والمتوسطات ٠٠

وطالما نحن في الحديث عن الثقافة فالجدير منا أن نمر على الاماكن التي تهتم بالثقافة ٠٠ بدءا من اتحاد الكتاب الجزائريين الذي يضع خطة سنوية يوافق عليها الامين العام لاتحاد الكتاب ٠٠ ويشغل منصبه الان الشاعر محمد أبو القاسم خمار ٠٠ وذلك باشراف لجنة النشاط ٠٠ ومن الاعضاء المشرفين الشاعر عمر برنادي والدكتور قسوم ٠٠ والدكتور عبد الله الركيبي ٠٠ وتكون محاضرات وامسيات الاتحاد في قاعته المسماة بقاعة مالك حداد في الجزائر العاصمة ٠٠ بالاضافة الى فروعه في الولايات ٠

وهناك وزارة الثقافة والاعلام التي تهتم بالاديب أو المثقف الجزائري وذلك عن طريق تحضير اللقاءات والملتقيات والامسيات في المراكز الثقافية المنتشرة في الولايات ومن أهمها (قاعة المقار) التي تدعو الى ندوة أو أمسية اسبوعية ٠٠ وكانت باشراف الشاعر محمد الاخضر عبد القادر السائحي ٠

أما وزارة التعليم العالي فيتكون نشاطها الثقافي في اقامة أمسية أو محاضرة اسبوعية في قاعة ـ الكابري ـ بالعاصمة ٠ ووزارة التربية تقوم بالملتقيات الثقافية بين الفينة والاخرى ٠ ووزارة التعليم الديني لها مركز ثقافي يعد نشاطا شهريا ٠٠ وتكون أمسياته اسبوعية بالاضافة الى عرض الافلام الثقافية ٠

أما اذا أردنا أن نتعرض الى الصحافة الادبية ٠٠ بدءا من الصحف ٠٠ فجريدة الشعب وكذلك ـ الجمهورية ـ و ـ النصر ـ فانها تخصص صفحة ثقافية منوعة تهتم بالثقافة والفن بالاضافة الى أن جريدة الجمهورية تصدر يوم الخميس من كل أسبوع صفحتين تحت عنوان ـ النادي الادبي ـ يشرف عليه كل من الناقد بلقاسم بن عبد الله ، والقاص السايح الحبيب ٠

وفي الاذاعة الجزائرية برنامج تحت عنوان الصحافة الادبية في اسبوع يشرف عليه القاص مرزاق بقطاش وبرنامج ـ المجلة الثقافية ـ ويشرف عليه الاستاذ السعيد نجام الى جانب الحلقات الثقافية الاخرى ، وفي التلفزة الجزائرية برامج ثقافية متخصصة وأهمها ـ أقلام على الطريق ـ الذيعده الدكتور عبد الله ركيبي وهناك برنامج ـ كاتب وكتاب ـ وبرنامج المجلة الثقافية ـ الذي يعده ـ العيد بن عروس ـ ٠

أما المشرف على الطباعة والنشر والتوزيع فهي الشركة الوطنية ٠٠ وهي الشركة الوحيدة في الجزائر التي تقوم بهذه المهمة ٠

٠٠ وبذلك نكون قد قدمنا صورة اجمالية عن النشاط الثقافي ، والحركة الثقافية في جزائرنا العربية ٠

ـ الثقافة ـ